

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية

مسرحيات شكسبير



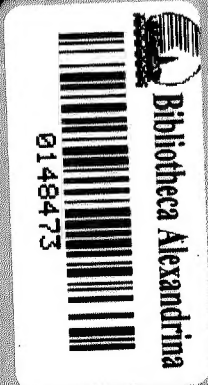
تنتوس أندرونيكوس

ترجمة

صفحة ربيع



دار المعارف



مُرحیات شکسپیر

جامعة الدول العربية
نظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

تيتوس أندرونيكوس

ترجمة
صفية ربيع

مراجعة

دكتور محمد عوض محمد دكتورة سهير الفلماوى

الطبعة الثالثة



مقدمة الترجمة

كاتب المسرحية :

يقال أحياناً إن شكسبير ليس هو الذى كتب تلك المسرحيات الرائعة التى خلدت اسمه وجعلته أعظم الشعراء فى العالم الغربى إن لم يكن فى العالم أجمع ، وإن كاتبها الحقيقى هو لورد بيكن العالم والسياسى الدائع الصيت ، وليس هنا موضع بحث هذه النظرية الخيالية . وبيان ما فيها من بعد عن الحقيقة ، وإنما أشرنا فى هذه المقدمة إشارة عابرة لنقول إن أصحاب هذه النظرية البيكنية أنفسهم لا يمكن أن يدعوا ، ولا يرغبون فى أن يدعوا ، أن هذه المسرحية التى نقدمها للقارئ الآن قد كتبها لورد بيكن . ذلك أن الأساس الذى تقوم عليه نظريتهم هو فى ظنهم ما تنطوى عليه المسرحيات من علم غزير ، وخبرة واسعة بأحوال الناس ، ونزعة عقلية فلسفية لا تتاح لرجل مثل شكسبير . وإنما تتاح لرجل أوفى من العلم والخبرة والفلسفة ما أوفى لورد بيكن . ذلك ما يقولونه عن المسرحيات الكبرى وبخاصة المأساة العظيمة ، وهو ما لا يمكن أن يقال عن هذه المسرحية . فهى مليئة بالمناظر المربعة . وبالفجاجة ، والهمجية والقسوة ، وما إليها من عيوب .

وفى المسرحية نفسها ما لا يترك مجالاً للشك فى أنها من وضع شكسبير .

ذلك أن بين أشخاصها وأشخاص مسرحية شكسبير الأخرى شبهاً كبيراً .
 وإذا راعينا أنها من أولى المسرحيات التي كتبها شكسبير نرين لنا أن
 أشخاصها ، مع قليل من التطور الذي لا بد أن يخلعه الزمان على أفكار
 الكاتب وشخصياته ، هم بعينهم أشخاص المأسى الكبرى ، أمثال هاملت ،
 وليدى ماكبث ، والملك لير ، وكوريولينس ، وغريب مع هذا التشابه
 الكبير ألا يكون كاتب هذه المسرحيات الكبرى هو كاتب مسرحية
 تيتوس أندرونيكوس . وأغرب من هذا أنه يوجد كاتبان مسرحيان متقاربان
 فى العبقرية الفنية ، يعيشان فى زمان واحد ، وأن يخلق أحدهما شخصيات
 تكاد تكون هى بعينها التى يخلقها الآخر . ثم يطوى اسم هذا الكاتب
 الثانى ويترك للحدس والتخمين .

تاريخ المسرحية :

إن أقدم طبعة من هذه المسرحية باقية حتى الآن ، هى الطبعة التى
 صدرت فى عام ١٦٠٠ ، والتى يقال فى عنوانها إنها مثلت قبل ذلك
 الوقت ، وكانت هى أساس الطبعة الثانية التى صدرت فى عام ١٦١١ ،
 ثم ظهرت طبعة أخرى منها فى عام ١٦٢٣ ووضعت بين مسرحيتى كوريوليس
 وروميو وجولييت . ويستدل من هذه الحقائق على أن المسرحية كانت
 معروفة قبل عام ١٦٠٠ وأنها مثلت قبل ذلك التاريخ وبعده ، كما يستدل
 منها أيضاً على أن الناشرين وقد وضعوها بين مسرحيتين ، لم يكن أحد

يشك في أنهما من وضع شكسبير ، لم يكونوا هم أنفسهم يشكون في أنها من قلم الشاعر الكبير .

وإذا لم يكن لدينا نسخ مطبوعة من هذه المسرحية قبل عام ١٦٠٠ ، فليس معنى هذا أنها لم تطبع قط قبل ذلك الوقت . ذلك أننا نجد إشارات لها في بعض الكتب المطبوعة وقتئذ أو حواله ، مضافاً إليها أنها كانت مطبوعة في عام ١٥٩٤ . بل نجد ما يدل على أنها مثلت في ٢٣ يناير من عام ١٥٩٣ .

على أن هذه الحجج لا تحدد تاريخ تأليف المسرحية ، وإن حددت تاريخ طبعها أو تمثيلها . غير أنه لما كان الإقبال على المسرحيات الجديدة وتمثيلها عظيماً في تلك الأيام ، فإننا لانظن أن مؤلفاً مثل شكسبير كان يترك مخطوط مسرحياته معطلا في مكتبه زمناً طويلاً . إذن فنحن حقاً أن نستنتج أن تيتوس أندرونيكوس قد كتبت حوالى عام ١٥٩٠ أو بعده بقليل ، أى حين كان شكسبير في سن الخامسة والعشرين تقريباً . ومن شأن هذه الحقيقة نفسها أن تدل على أن المسرحية وما فيها من فجاجة ونقص في الصقل هي من ثمار الجهود الأولى التي بذلها شكسبير في كتابه «المآسى الدموية» والتي أثمرت فيما بعد تلك المآسى الكبرى التي هي مثلها «مآس دموية» ولكنها تمتاز عنها بالتسامي بأعمال العنف ورفعها عن الهمجية والوحشية .

مصدر القصة :

ليس لدينا قبل أيام شكسبير مصادر يمكن أن يقال إن مسرحية تيتوس أندرونيكوس ، أو المسرحية الأخرى المماثلة لها والمسماة تيتوس وفسبازيا ، قد أخذت منها أو اعتمدت عليها ، غير أن لدينا صورا ألمانية وأخرى هولندية لهذه المسرحية ، متأخرة في تاريخها عن مسرحية شكسبير ، ولكنها لا تعتمد على مسرحية الشاعر الكبير نفسها ، بل تعتمد على قصة أو قصص أخرى أقدم منها وأكثر فجاجة .

ويؤكد الباحثون المحققون (أمثال مستر فلر Fuller والأستاذ بيكر Baker) أن القصتين الهولندية والألمانية تعتمدان على قصتين إنجليزيتين مختلفتين مثلتهما فرق إنجليزية مختلفة ، وأنهما لا يمكن أن تكون إحداهما هي مسرحية شكسبير التي لدينا الآن . ويبدو أن هذه المسرحية مزيج من قصتين متفرقتين — أو أكثر من قصتين — كانتا منتشرتين في أوروبا وانجلترا قبل أيام شكسبير .

فأما أولاهما فهي قصة « المغربي الشرير » حيث نرى القتل والاعتصاب يرتكبهما مغربي مدفوع إليهما بالانتقام والحقد الدفين ، وأما الثانية فهي قصة « السيدة البيضاء والمغربي » وهي قصة تدور أهم حوادثها حول الدسائس الشهوانية القائمة بين سيدة بيضاء ، هي ملكة في الأغلب الأعم ، وعبد زنجي . ويمزج شكسبير بين هذه العناصر وبين ما نستطيع أن نسميه

العناصر السياسية فى المسرحية . ونعنى بها العلاقة بين تيتوس والإمبراطور ، وهذا المزج هو الذى يحبه شكسبير ويخترعه إذا لم يكن موجوداً من قبل فى القصة . ذلك أن شكسبير يعتمد فى معظم مآسيه ومساليه إلى الجمع بين قصتين كثيراً ما يستمدهما من مصدرين مختلفين ، ولعل أهم ما تمتاز به عبقريته ، هو هذه القدرة العجيبة على مزج موضوعين متباعدين ، والجمع بينهما فى موضوع واحد . وهذا الجمع يتيح له فوق ذلك فرصة ذلك التمييز الدقيق بين أشخاصه المتشابهين وهو التمييز الذى استغله إلى أبعد حد . ونجد ذلك واضحاً أتم وضوح فى مسرحية الملك لير ، فى لير وجلوستر . وكرديليا وإدجر ، وإدموند وريجان وجنريل ، حيث تمتزج أوجه الشبه القوية بالفوارق الدقيقة .

ولقد كانت حبكة تيتوس أندرونيكوس قبل أن يتناولها شكسبير معقدة التعقيد الذى يؤتم ذوق الشاعر الكبير ، ولكنه لم يكتف بهذا ، بل خلق فيها شخصية أكريوس ليبرر بعض التبرير حقد تاه ورا على أندرونيكوس وأسرته ، وليظهر لافينيا بمظهر الضحية البريئة .

أشخاص المسرحية

نعيد هنا ما قلناه من قبل ، وهو أنا نجد أمثلة قريبة بعض القرب أو كله لأشخاص هذه المسرحية فى مسرحيات شكسبير الأخرى مع التطور الذى لا بد أن يثمره نضوج الشاعر واكتماله عقلية .

ولنقل الآن كلمة عن أهم هؤلاء الأشخاص :

تامورا ملكة القوط :

لقد جمع شكسبير في أخلاق هذه السيدة بين الشهوانية والوحشية من جهة وبين ما خلعه عليها من عظمة لا يمكن أن يجعلها على الأشرار من النساء غير شكسبير وحده من جهة أخرى ، ويحرص شكسبير في أول ظهورها أمام تيتوس على أن يتيح لها الحجة التي تعتذر بها ، وإن لم تبرر بها أعمالها المقبلة . ولقد كانت الأعمال الوحشية التي عومل بها ابنها الأكبر أكرينوس كافية لأن تثير في طبيعتها القوية الشديدة الانفعال رغبة جامحة في الانتقام الرهيب .

لكنها أوتيت من الذكاء وقوة البديهة قسطاً كبيراً امتازت به عن غيرها من شخصيات المسرحية ولم يفارقها إلا في اللحظة الأخيرة الحاسمة حين أرادت أن تستغله إلى أقصى حد .

وبفضل هذا الذكاء أدركت أن من واجبها أن تراوغ وتخدع ، وأن تستدرج تيتوس وأسرته فيأمنوا ويطمثنوا . وهي امرأة ذات جمال ناضج ، ماهرة في الدس والوقيعه ، تعرف من أول نظرة كيف تفتن ساترنيوس الشهواني الضعيف ، وكيف تستغل خوف تيتوس وغيرته منه . وتسيطر تامورا على المسرحية من أولها إلى آخرها ، وليس آرون (هارون) نفسه إلا رسولا وعاملا لها ينفذ خططها الرهيبة ، بسرور يمليه

١١

عليه حقه ، ولكنه لا يجنى منه خيراً لنفسه . ولا شك في أن تامورا أسيرة حبها لآرون . أو أنها ، كما كانت سميراميس التي شبت بها في المسرحية أو كترين إمبراطورة روسيا ، أسيرة شهواتها النهمه التي لا تشبع . ولقد أدت هذه الشهوات والرغبات آخر الأمر إلى سقوطها .

وإننا لنجد في تامورا دراسة مبدئية لشخصيتين أخريين من شخصيات شكسبير ، هما ليدي مكبث وكليوباترة .

تيتوس أندرونيكوس :

ولنتقل الآن إلى شخصية أخرى من الشخصيات البارزة في المسرحية هي شخصية تيتوس أندرونيكوس نفسه عدو تامورا الذي انتصر عليها آخر الأمر . ونقول منذ البداية إنه أقرب الشخصيات إلى الملك لير ، ولولا أننا نخشى أن يطول بنا البحث ويتشعب ، لكتبنا الشيء الكثير عن أوجه الشبه بين بطل المسرحيتين ، فلنترك هذا إلى القارئ الناقد ، وحسبنا أن نقول هنا إنه قد خاب أمله ، كما خاب أمل لير إذ وجد نفسه مهملاً لا يأبه به أحد ، وإن ذلك كان ثمرة عمله وقسوته على أكر يوس وظلمه للافينيا وبسيانوس ، وقتله ولده ، وفيه أيضاً شبه كبير لكوريولينس وهامات . وإن لم يكن صورة طبق الأصل من أحدهما ، بل هو الدراسة المبدئية لهما . وتيتوس إنسان نفاق ، مولع بالتشامخ وبالتظاهر ، أكثر من أى شخص آخر في المسرحية لكننا نراه في آخر الأمر رجلاً جباراً قوياً ،

وليس من طراز الرجال العادى .

ولنتنقل الآن إلى الشخصية الأخرى من شخصيات المسرحية ذات الدرجة الأولى في الأهمية ونعني بها شخصية آرون (هارون) ، فنقول يبدو أن شكسبير قد حاول محاولة كبيرة — وإن لم ينجح فيها إلا بعض النجاح — كى يخلع على شخصية المسرح الدنيئة المنحطة بعض النزعة الإنسانية .

ونقول إنه لم ينجح إلا بعض النجاح لأن آرون ينحدر في أواخر المسرحية ، فيصبح الشخص الفظيع الشرير بحق ، وهو في هذا قريب الشبه بإياجو ، كما يشبه من بعض النواحي ريجان ، وجنريل ، وكلوديوس ، ورتشارد الثالث في المسرحيات الأخرى ، وكلها شخصيات كثيرة الوجود في عصر النهضة القريب من أيام شكسبير ، وحسبنا أن نذكر من أشخاصها البارزين آل بورجيا وآل ميدبتشي في رومة وفلورنس .

فقد يبدو أن عصر النهضة الذى كان عصر إحياء للفنون والآداب ، قد قضى أو كاد على الضمير الحى . وأن موجة المسيحية السائدة في العصور الوسطى والوثنية التى جاءت مع النهضة . قد محت الأخلاق محواً ، كما نرى هذا في كتاب الأمير كتاب « الشيطان المنزل » الذى يعلم الإنسان كيف ينسى كل ما هو شريف ، ونبل ورحيم ، من المبادئ الأخلاقية .

ولا عيب في شكسبير في هذا فهو إنما يمثل لنا في هذا الشخص

وأمثاله طرازاً من العصر الذى يعيش فيه ، ولا نستطيع أن نقول عن هؤلاء الشياطين إنهم خارقون للطبيعة ، بل إننا نجد حتى فى أيامنا هذه أناساً لا يقتلون فى قسوتهم وظلمهم عن آرون نفسه ، وقد رأى شكسبير أن آثام آرون وآثام (إياجو) أشد من أن يكفرا عنها بالموت ، فاستبقى هذين الوغدين لعذاب أشد هولاً فى آخر المسرحيتين .

لوسيوس :

ترق شخصية لوسيوس وتطهر على يدى شكسبير كلما تقدمت المسرحية ، وهو أقل اشتراكاً فى فظائعها بعد مقتل ألبوس من غيره من الأشخاص ، وليس قتله ساترنيوس بعد أن طعن هذا أباه إلا عملاً أماته الغريزة البشرية ، نجد له ما يبرره . وأهم ما يميزه من الصفات هو حنانه الأخوى الذى يهتم شكسبير على الدوام بتصويره .
كذلك لا يعوز لوسيوس حبه لأبنائه أو أبيه ، وإن دفاعه عن هؤلاء أمام محامى الشعب (الترينون) لدفاع جميل بحق ..

ساترنيوس وبسيانوس :

الأخوان المطالبان بالتاج . ونجح أحدهما وأخفق الآخر . فأما ساترنيوس ، فهو شخص حقير ذميم كافر بالنعمة . مرتاب ، ضعيف ، قاس ، عبد لشهواته .

أما بسيانوس ، فهو إنسان فاضل ، ومحب ثابت ، وزوج كريم ،
ورجل شريف ، طيب القلب ، سريع العفو ، يغفر لتيوس ما أراد أن
يوقعه به من ظلم . وهو من أكثر أشخاص المسرحية طهراً ، وأعلامهم قدراً .

المهرج :

بقى بعد ذلك أن نقول إن المسرحية لم يعوزها المهرج كما يظن البعض .
والمهرج شخص يدخله شكسبير في مسرحياته ليققل من عبثها الثقيل على
النظارة وبخاصة في المآسى ، ويمثله في هذه المسرحية الفلاح حامل سلة
الحمام .

وكثيراً ما يستمد شكسبير شخصية أولئك المهرجين من الفلاحين
السذج في إنجلترة .

وخليق بنا أن نختم هذه المقدمة بقولنا إن تيتوس أندريونيكوس ، هي
أولى المحاولات التي بذلها شكسبير في كتابة المأساة ، فهي عمل رجل يتعلم
وفنه ينقل عن سابقه ، وإن كان مدركاً لمواهبه العليا يخشى أن يدخل
تبديلاً كبيراً على حبكة القصة ، لم يبلغ من المهارة في ضم حبكة صغرى
إليها ما بلغه في مسرحياته التالية ، لكنه أوفى القدرة على تمييز الأشخاص
وعلى إضفاء النزعة الإنسانية على الأشرار ، وفيها يظهر اهتمامه بالمشاكل
النفسية والخلقية ، وهو الاهتمام الذي يعود إليه في مسرحياته التالية ويوضحه

١٥

أعظم توضيح . وهو فيها المسيطر على موهبة الشعر النبيل والبلاغة القوية .
وأكبر الظن أنه مدين بهذه الموهبة المزدوجة إلى مارلو ولكنه استخدمها
أعظم استخدام في كتابة المسرحية .

محمد بدران

تیتوس اندرونیکوس

أشخاص المسرحية

ساترنيوس : ابن إمبراطور روما المتوفى ، يعلن انتخابه

Saturninus إمبراطوراً فيما بعد

باسيانوس : أخو ساترنيوس ، محب للآفينا Bassianus

تيتوس أندرونيكوس : نبيل روماني ، وقائد جيوش الرومان في حربهم

Titus Andronicus ضد القوط

ماركوس أندرونيكوس : زعيم من نقباء زعماء الشعب وأخ لتيتوس

Marcus Andronicus

Lucius	:	لوكيوس كوينتوس مارتوس موتيوس
Quintus	:	
Martius	:	
Mutius	:	

Young Lucius : صبي ، ابن لوكيوس

Publius : ابن ماركوس أندرونيكوس

Sempronius : سمبرونيوس

Gaius : أقرباء تيتوس : كايوس

Valentine : فالنتين

.Emilius : نبيل روماني إيميليوس

Alarbus	:	{	ألاربوس
Demetrius	:	أولاد تامورا	{ ديمتريوس
Chiron	:		{ شيرون
Aaron	:	رجل مغربي وعشيق تامورا	هارون أو آرون
		ضابط ، وزعيم ، ورسول ، ومهرج	
		جماعة من القوط والرومان	
Tamora	:	ملكة القوط	تامورا
Lavinia	:	ابنة تيتوس أندرونيكوس	لافينيا
		مربية وطفل أسود	
		شيوخ وزعماء وضباط وجنود وحاشية	

الفصل الأول

المنظر : روما والمنطقة القريبة منها

المنظر الأول

تظهر المقبرة الخاصة بأسرة أندرونيكوس ، وفي أعلى المنظر يقف الزعماء وأعضاء مجلس الشيوخ ثم يدخل ساترنيوس وأتباعه من باب ، ويدخل باسيانوس وأتباعه من الباب الآخر ، ومعهم جميعاً طبول وأعلام .

ساترنيوس : أيها المواطنون النبلاء ، يا حماة حقى ،
ذودوا عن عدالة قضيتى بالسلاح .
يا أبناء وطنى ، يا مريدى المحيين ،
دافعوا بسيوفكم عن حقى الشرعى فى الملك .
إننى أنا الابن الأكبر لآخر من
حمل تاج روما الإمبراطورى فوق رأسه .
فاجعلوا أمجاد أبى تعيش فى شخصى .
ولا تعتدوا على حقى بوصفى ابناً أكبر بهذا الامتهان .
باسيانوس : أيها الرومان ، أصدقائى ، وأتباعى ، ومناصرى
فى حقى . إذا كان لباسيانوس ، بن قيصر ،
قدر فى نظر روما الملكية

٥

١٠

فأمّنوا له الطريق إلى « الكايتول »^(١) ،
ولا تقبلوا أن يقترب لثيم .
من العرش الإمبراطورى القائم على الفضيلة
والعدل والعفة والنبيل .

١٥

دعوا الجدير بالأمر يظفر فى انتخاب حر
ودافعوا أيها الرومان عن حريّتكم فى الاختيار .
(يظهر ماركوس أندرونيكوس فى أعلى المنظر وهو يحمل تاجاً)
ماركوس : أيها الأميران المتصارعان بالشيّع والأنصار ،
طامعين فى الحكم والسلطان ،
ألا فاعلما أن أهل روما ، الذين تمثلهم
بوقوفنا هنا ، قد أجمعوا

٢٠

— فى انتخابهم الإمبراطور الرومانى —
على اختيار أندرونيكوس المعروف باسم بيوس ،
من أجل الكثير من الأعمال الجيدة الجليلة التى
أداها لروما .

فليس هناك رجل أنبل ، ولا محارب أشجع ،
يعيش اليوم داخل أسوار المدينة .

٢٥

(١) الكايتول : معبد أقيم بروما للإله جوبيتر ، ملحق به قلعة تقوم على التل
المسمى باسمه وهو تل من تلال روما السبعة . وكان الأباطرة والقواد الطافرون يتوجون بهذه القلعة .

إن الشيوخ قد استدعوه إلى أرض الوطن
من حروب مضمّنة ضد القوط البرابرة ،
كان فيها الفرع لأعدائنا ، واستطاع مع أبنائه
أن يخضع لنير روما أمة قوية شبت على حمل
السلاح ، ويلها .

٣٠

لقد مضى عليه عشر سنوات ، منذ تولى
الدفاع عن روما ، فأذلّ بالسلاح
كبرياء أعدائنا ، وعاد خلالها خمس مرات ،
يقطر دماً ، وهو يحمل أبناء الصناديد
في التواييت ، من الميدان :
وأخيراً وقد أثقلته أسلاب الفخار

٣٥

وقدم القرايين لذكرى آل أندرونيكوس
دلالة على أخذه بثأرهم .
وبعد أن قتل أنبل سجين من سجناء القوط ،
يعود اليوم أندرونيكوس الحيد إلى روما ؛
مبرزاً في المعارك والحروب ، قد ذاع صيت اسمه
تيتوس ؟

٤٠

فدعانا نستحلفكما بشرف اسم ذلك الرجل
الذي تريدان اليوم أن يورث عن جدارة ،

وبحق الكابيتول ، ومجلس الشيوخ ،

الذين تزعمان تقديمهما وتوقيعهما ،

٤٥

أن تنسجبا ، أيها المتنافسان ، وأن تضعما السلاح .
فرقا أتباعكما ، وتصرفا بما يليق بأمثالكما من
المتنافسين ؛

وعددا مناقبكما في تواضع وسلام .

ساترنيوس : ما أحسن كلامك أيها الزعيم ، فإنه ليظمن أفكارى
باسيانوس : وهأنذا يا ماركوس أندرونيكوس ، أعلن ثقى
باستقامتك واتزانك ،

٥٠

كما أعلن أننى أحبك وأقدرك ، أنت وآلك :

أخاك النبيل تيتوس ، وأولاده ،

وتلك التى طوع بنائها كل أفكارى ،

لافينيا الجميلة ، درة روما الثمينة ،

ومن أجل هذا سأصرف الآن أتباعى المحبين ،

وأترك للأقدار ولتقدير الشعب

أمر الحكم فى قضيتى وقد وضعت فى الميزان .

٥٥

(يخرج أتباع باسيانوس)

ساترنيوس : أيها الأصدقاء الذين تحمسوا هكذا لحتى ،

إننى أشكركم جميعاً ، وأرجوكم أن تنصرفوا ،

وسأسلم لرحمة بلادى ولحبها نفسى ، وروحى
وقضيتى .

روما ، ارضى غنى وأنصفينى

(يخرج أتباع ساترنيوس)

بقدر ما أنا عطوف عليك مخلص لك ،

افتحوا الأبواب ودعونى أدخل

باسيانوس : وأنا كذلك ، أيها الزعماء ، منافس^(١) متواضع .

(يخرجون ، صاعدين إلى مجلس الشيوخ . ويدخل ضابط)

٦٥ الضابط : أيها الرومان ، أفسحوا الطريق ، أن أندرونيكوس

حامى حمى الفضيلة ، وخير من انتصر لروما ،

القائد المظفر فى المعارك التى خاضها

قد عاد بالمجد والثراء بعد أن أذل بسيفه

أعداء روما وجرحهم يرسقون فى القيود

(قرع طبول ، ثم يدخل مارتوريوس وموتوريوس وخلفهما رجلان يحملان نعشاً مجللاً بالمواد
ومن ورائهما لوكيوس وكوينتيوس وبعدهما تيتوس أندرونيكوس ثم تاملوا ملكة القوط ،
وأبنائهما ألابريوس وشيرون وديميتريوس ، وبعدهم هارون وآخرون من القوط الأسرى وبعد
ذلك جماعة من الجند وجمهور من الناس . يضعون النعش على الأرض ثم يتكلم تيتوس)

(١) قد يعنى بذلك إما أنه تنقصه الثروة والنفوذ اللذين لأخيه ، وأما أنه يتهم

متواضعاً لكسب عطف الزعماء .

١ ف

٢٦

٧٠ تيتوس : سلام عليك يا روما المنتصرة في ثيابك السود
انظري ، إن مثل السفينة التي أفرغت حمولتها
ثم عادت بحمولة أثمن إلى المرفأ اذى أقلعت منه
أول مرة ،
كمثل أندرونيكوس ، وقد عاد ملتفتاً بأكاليل الغار ،
ليحيي مرة أخرى ، وطنه بالدموع :

٧٠

دموع الفرح الصادق بعودته إلى روما .
وأنت يا « جوبتر » ، يا حامى الكايتول العظيم ،
تلق ما فنوى القيام به من شعائر ، بالقبول .
وأنتم أيها الرومان ، لقد كان لى من الأبناء خمسة
وعشرون ابناً جسوراً ،

٨٠

هم نصف ما كان للملك بريام ^(١) من بنين
فانظروا الآن فى البقية الباقية ، من الأحياء والأموات ،
فلتجزز روما أحياءهم بالحلب .

أما الذين أحملهم اليوم إلى مثواهم الأخير
فلتجززهم روما بشرف الدفن بين أسلافهم الأجداد .
إن القوط قد أعطوك مهلةً تضع فيها سيفك فى
غمده

(١) الملك بريام ملك « طروادة » .

فما بالك يا تيتوس يا قاسي القلب يا مقصراً في حقوق
ذويك !

تحتمل أن يظل أبنائك بلا دفن ، حتى الآن ،
في حين تحوم أرواحهم على شاطئ "ستكس" (١)
الخفيف ،

هيا افسحوا لهم مكاناً ليرقدوا إلى جوار إخوانهم ،
(تفتح المقبرة)

عندئذ لنحيمهم في صمت يليق بالموتى ،
سلام عليكم في رقدتكم ، يا من قتلتم في سيل
بلادكم

وأنت أيتها الحفرة المقدسة التي دفنت كل أفراحي
ويا أيها الخدر خدر الفضيلة والنبل
كم قد استودعتك من أبنائي ؛

أبنائي الذين لن تردهم إلى مرة أخرى .

٩٥ لوكيوس : اختر أشد أسرى القوط كبرياء وأسلمه لنا .

حتى نقطع أطرافه ونجعلها كومة عالية .

ونحرق لحمه قرباناً لأرواح إخوانهم .

أما هذا السمجن الأرضي الذي تموت فيه عظامهم .

(١) ستكس : نهر في الجحيم ، يعبره الخاطئ سبع مرات .

١ ف

٢٨

ففي ذلك سكبنة لأرواح الموتى ،

وضمان لنا نحن الأحياء على الأرض . ألا تندرنا

١٠٠

الحوارق بالشر .

تيتوس : ها كم إذن ، أنبل من بقى منهم على قيد الحياة
وأكبر أبناء الملكة المقهورة .

تامورا : تمهلوا أيها الإخوة الرومان ، وأنت أيها الغازي الكريم ،
تيتوس المنصور ، فلتأخذك الشفقة بما أسكبه من
دموع ؛

١٠٥

إنها دموع الأم المحزونة على ولدها .
فلذا كنت أحسست يوماً أن أولادك أعزاء عليك ،
فاذكر أن ابني مثلهم ، عزيز علىّ هو أيضاً .
ألا يكفيك فخراً أننا قد جئنا بنا إلى روما ،

لنزين موكب انتصارك ونزيد في بهجة عودتك ،
أسرى لك ، أذلاء نرسف في القيود الرومانية ،
أو لا بد لك أيضاً أن تذيب أبنائي في شوارع
روما

١١٠

جزاء وفاقاً على ما قدموه لوطنهم من مجيد الفعال ؟
فلئن كان القتال من أجل السلطان والدولة

٢٩

١٢

يعد من أبنائك تديناً وعبادة ، فهو من هؤلاء كذلك أيضاً .

١١٥

أندرونيكوس . لا تلوث قبر أسرتك الطاهر بالدماء !
ألا تريد أن تتشبه في خلقك بخلق الآلهة ؟
تشبه إذن بهم وكن رحيماً ،
فإن الرحمة الرحيمة لأصدق رمز يدل على النبيل ،
أيها النبيل تيتوس بل العريق في النبيل ! أعف عن
ابني البكر !

١٢٠ تيتوس

: صبراً سيدتي ، وصفحاً ،
إن هؤلاء الواقفين أمامك إخوة من شهدتموهم ،
أنتم القوط ،

أحياء ثم أمواتا ، وهم من أجل إخوانهم
الذين استشهدوا في الجهاد المقدس يطالبون بالفداء
كما يأمرهم الدين

١٢٥

وقد اختير ابنك لهذا : فلا بد له أن يموت ،
كَمَا يسكن بموته صياح هامات الراحلين من موتاهم .

لوكيوس

: امضوا به وأوقدوا النار فوراً ،
فلنمتشق سيوفنا ، ونقطع بها أطرافه

فوق كومة الخشب ونحرقها حتى تتلاشى كلها .

(يخرج لوكيوس وكونتيس ومارتيوس يقتادون الأربوس)

١٣٠ تامورا : يا لقسوة هذه العبادة الكافرة !

شIRON : أو بلغ أهل « سكوديا^(١) » من الوحشية نصف

ما بلغ هؤلاء ؟

ديمتر يوس : لا تقارن أهل سكوديا بأهل روما الجشعة .

أن « الأربوس » قدماء فاستراح ؛ أما نحن

فسنحيا ،

لنرتجف ، أمام نظرة تيتوس المتوعدة .

ولمذن قفى ، يا سيدنى ، بالرغم من هذا ، ثابتة ،

مؤملة

١٣٥

فإن الآلهة ، التى أتاحت قديماً للملكة طروادة^(٢) ،

فرصة سانحة لتنتقم انتقاماً قاسياً

من طاغية « تراقيا » وهو فى خييمته ؛

قد تمكن هى نفسها « تامورا » . ملكة القوط ،

(عندما كان القوط قوطاً وكانت تامورا ملكة)

(١) إقليم فى شرق أوروبا كان يسكنه شعب من البرابرة المتوحشين يتجهلون فى

جنوبها الشرق وشمال غرب آسيا . وقد زعم هيرودوت أنهم كانوا يأكلون لحوم البشر .

(٢) ملكة طروادة : هكيوبا زوجة بريام ملك طروادة ، وطاغية تراقية هو

« بوليمنيستر » Polymnestor .

٣١

١٢

من أن تنتقم من أعدائها لهذه الاعتداءات الدامية .

١٤٠

(يدخل لوكيوس وكويتوس وموتيس وسيفهم تقطر دماً)

: انظر ، أبانا ، ومولانا ، كيف قمنا بأداء

لوكيوس

شعائنا الرومانية ؛ لقد قطعت أطراف الأربوس

وبتر بتر ؛

وغدت أحشاؤه وقوداً لنار القرايين ؛

تعطر السماء دخانها وكأنه بخور العابدين .

لم يعد أماننا الآن إلا أن ندفن إخوتنا ،

١٤٥

وأن نعلن عودتهم إلى روما بدوى الطبول .

: فليكن ذلك ، وليكن لأندرونيكوس ،

تيتوس

من هذا ، تحية أخيرة لأرواحهم .

(تدق الطبول ويوضع النمش في القبر)

ارقدوا هنا يا أبنائي ، في سلام وفي فخار ،

يا حماة روما الأعجاذ ! ارقدوا هادئين ،

١٥٠

آمنين عوادي الدهر وأحداثه ،

ارقدوا حيث لا تكمن خيانة ولا يسود حسد ،

ارقدوا حيث لا ينمو عشب سام ملعون ، ولا تعصف

رياح هوج

حيث لا يحتجب ولا ضوضاء . بل صمت خالد

ف ١

٣٢

وسبات أزل

استريحوا هنا يا أبنائي في سلام وفي فخر !

١٥٥

(تدخل لافينيا)

: طال عمر المولى تيتوس في عز وسلام

لافينيا

عشت في مجد مولاي النبيل والدي العزيز !

انظر ، هذه دموعي على هذا القبر ،

أقدمها فرضاً على لإخوتي في مراسم دفنهم ،

وها أنا ذى أركع عند قدميك ودموع الفرح

١٦٠

بعودتك إلى روما تنسكب على الأرض .

باركني يا أبت هنا بيمينك الظافرة ،

التي هلل لانتصارها خير أبناء روما .

: ما أعظم رحمتك يا روما ، فقد حفظت لي ، عطفاً

تيتوس

منك ، سلوى حياتي ، ليفرح بها قلبي .

١٦٥

عشت يا لافينيا ، عشت حتى يجاوز عمرك عمر

أبيك ،

وحتى يجاوز ذكر فضيلتك عمر الخلود الأبدى

(يدخل ماركوس أندرونيكوس ويرجع ساترنيوس وباسيانوس والآخرون)

: عاش تيتوس ، مولاي وأخي الحبيب ،

ماركوس

الكريم المظفر ، لدى أهل روما !

٣٣

١٢

١٧٠ تيتوس : شكراً ماركوس . أيها الزعيم الكريم والأخ النبيل .

ماركوس : مرحباً بعودتكم من الحروب الموفقة يا أبناء الأخ ،

مرحباً بكم أيها الأبناء ، الأحياء منكم والراقدون في

أحضان المجد على السواء . أيها السادة :

إن نصيبكم جميعاً قد تشابه في كل شيء

عندما شرعتم سيوفكم في سبيل الوطن ،

١٧٥

ولكن نصر هذا الموكب الجنائزى خير وأبقى ،

لأنه ارتقى بصاحبه إلى سعادة الموت التي نادى بها

صولون^(١) ،

واعلمى به مراقى المجد منتصراً على الأقدار .

تيتوس أندرونيكوس ! إن أهل روما ،

الذين ناصرتهم أبداً في الحق ،

١٨٠

يرسلون إليك معي — وأنا زعيمهم الذي يثقون به —

هذا المعطف الأبيض الذي لا تشوب صفاءه

شائبة ،

ويرشحونك في انتخاب الإمبراطورية

(١) سعادة صولون : إشارة إلى مثل ينسب لصولون يقول فيه : لا تحسب الرجل

سميلاً حتى يموت ، ويرى « بيلدون » أن الإشارة قد تكون لمثل آخر هو : من أحبه الآلهة

فقد مات صغيراً .

١ ف

٣٤

مع أبناء إمبراطورنا السابق الراحل ،
أقبل لإذن الترشيح والبس الثوب وشارته ،
وأعنا على اختيار رئيس لروما ليكون لها رأساً بعد
أن أوضحت لا رأس لها .

١٨٥

: إن رأساً أفضل من رأسى أليق بجسدها المجيد ،

تيتوس

رأساً لا يرتعش من الشيخوخة ولا الضعف
علام أرتدى هذا الرداء وأحملكم مشقة انتخابي
وأنتم إن خصصتموني اليوم بالتتويج
فسأضطر غداً لأن أتنازل عن الحكم ، وأعتزل
الحياة ،

١٩٠

وبذلك تعود المهمة أمامكم جميعاً ، لتقوموا بها من
جديد ؟ !

روما ! لقد كنت المجاهد في سبيلك أربعين عاماً ،
قدت فيها قوات بلادى مظفراً موفقاً ،

ودفنت من الكهنة واحداً وعشرين ابناً صنديداً
كانوا فرساناً ، في الميدان ، ولقوا مصرعهم أبطالاً
شاهري السلاح

١٩٥

في سبيل وطنهم النبيل وذوداً عن حقوقه .
هبوني لإذن في شيخونتي ، عصا الشرف أتوكأ عليها ،

٣٥٠

١٢

لا صوبلجاناً أسود به العالم .
وإنه لصوبلجان ، أيها السادة قد رفعه عالياً آخر من
أمسك به

٢٠٠

ماركوس : لو تقدمت ، يا تيتوس ، إلى الكرسي الإمبراطوري
لحصلت عليه .

ساترنيوس : أو تجرؤ ! أيها الزعيم المتكبر المتطاوول ؟
تيتوس : صبراً أيها الأمير ساترنيوس !
ساترنيوس : يا رجال روما ، قفوا إلى جانبي ،
أيها الأشراف ، اشرعوا سيوفكم ولا تغمدها

٢٠٥

حتى يصبح ساترنيوس إمبراطوراً لروما .
أما أنت يا أندرونيكوس ، فإني كنت أفضل أن
يُلقي بك في الجحيم ،
من أن تسلبني قلب الشعب .

لوكيوس : يا لكبرك يا ساترنيوس ، إنك لتؤخر الخير
الذي يريده لك تيتوس بضميره النبيل .

٢١٠ تيتوس : اطمئن أيها الأمير . سأرد إليك
قلب الشعب ، وسأصرفهم عن أنفسهم .

باسيانوس : لست أتماقك يا أندرونيكوس ،
ولكنني أبعجلك تبجيلاً خالصاً ، وسأظل كذلك

ف ١

٣٦

حتى أموت ،

ولسوف أكون شاكراً لك ، كل الشكر ، لو أنك

مع أصدقائك أيدت شيعتي ؛

٢١٥

إن الشكر لكرام النفوس لجزاء كريم .

: يا رجال روما يا أيها الزعماء النبلاء ،

تيتوس

إني أسألكم أصواتكم وموافقتكم

فهلأ منحتموها متكرمين لأندرونيكوس ؟

: إن الشعب ، لإرضاء لأندرونيكوس الشهم ،

٢٢٠ الزعماء

واحتفالاً بعودته سالماً إلى روما ،

سوف يقبل من يرتضيه .

: أشكركم أيها الزعماء ، وهأنذا أعرض عليكم

تيتوس

أن تنصبوا مولانا ساترنيوس ،

الابن الأكبر لإمبراطورنا ، وآمل أن تشع فضائله

على روما ،

٢٢٥

كما تشع أشعة إله الشمس^(١) على الأرض ،

وأن يرعى العدالة حتى تزدهر في دولتنا ،

فلإذا أردتم أن تأخذوا بنصيبتي في انتخابكم ،

فلتتوجوه هو ، ولنهتف : أدام الله إمبراطورنا !

(١) في الأصل (Titan) وتيتان إله الشمس .

٢٣٠ ماركوس : هلم بالتهليل وبالترحيب بشتى صورة
يا أيها النبلاء ، ويا عامة الشعب ، فلنتوج
مولانا ساترينوس لإمبراطور روما العظيم ،
ولننتف : أدام الله إمبراطورنا ساترينوس
(هتاف وتهليل)

ساترينوس : تيتوس أندرونيكوس إني على ما قدمت إلينا من
أفضال

٢٣٥ في يوم انتخابنا هذا
أقدم إليك شكراً يليق بفعالك .
وسأكافئك على تكرمك بالفعل لا بالقول ،
وها أنذا أبدأ الآن ، يا تيتوس ،
بأن أرفع من اسمك ومن اسم أسرتك النبيلة ،
فأجعل من لافينيا ، مليكتي ،
٢٤٠ لتجلس حاكمة على عرش روما الإمبراطوري ،
وحاكمة على قلبي
وأصبح في البانثيون^(١) المقدس ، زوجاً لها .
قل لي يا أندرونيكوس ، أو يرضيك ما أتقدم به
إليك .

(١) البانثيون : معبد مكرس يقع وسط حقول مارس في روما .

١ ف

٣٨

تيتوس

نعم ، يا مولاي الجليل ، فإن هذا القران
ليشرفنى كثيراً بفضلك به .

٢٤٥

وها أنا ذا أمام شعب روما ، أكرس لساترنيوس ،
ملك دولتنا وقائدها ،

ولإمبراطور العالم الواسع ،

سيتي ومركبتى وأسراى ،

وأهديها كلها لأجدر الناس بها ، سيد روما

الإمبراطورى ،

٢٥٠

تقبلها إذن ، فإنها ضريبة ، أنا مدين بها لك ،
لأنها شارات مجدى ، أضعها متواضعة عند قدميك .

ساترنيوس : شكراً يا تيتوس النبيل ، يا من أوجدتني من جديد ،

فلتسجل روما فخري بك وهداياك ،

فلذا نسيت أقل هذه الأفضال شأناً ،

٢٥٥

فانسوا أيها الرومان عهدكم بالإخلاص لى .

- تيتوس (لنامرا) : إنك الآن يا سيدتى أسيرة إمبراطور ،

وبقدر ما لك من سمو الشرف ومن علو المقام

سيكرم الإمبراطور معاملتك ومعاملة أتباعك .

٢٦٠ ساترنيوس (عل حدة) : لأنها ولا شك امرأة مليحة ، من هذا الصنف

الذى كنت أختاره لو أننى خيرت من جديد .
(بصوت عال) بددى السحب يا مليكتى الجميلة
عن قسماث وجهك ،
فلئن كانت صروف الحرب قد جلبت هذا التغيير
إلى محياك ،

فإنك لم تقدى لكى يسخر منك أحد فى روما .
ستعاملين معاملة الملوك فى كل شىء .
فاعتمدى على كلمتى ولا تدعى السخط
يفسد عليك الأمل ، إن الذى يعزبك الآن يا سيدتى
قادر أن يجعلك أعظم من ملكة القوط .
لافينيا ، أو يسوؤك هذا الكلام ؟

٢٦٥

٢٧٠ لافينيا : أنا يا مولاي ؟ كلا ! لأن نبلك الخالص
يفرض عليك هذا القول ، وإنه لجرد تطف ملكى .
ساترينوس : شكراً على لطفك يا لافينيا ، هيا أيها الرومان ،
إننا سنطلق سراح أسرانا بلا فدية ،
فهيا أعلنوا ، أيها السادة ، ما لنناه من شرف بقرع
الدفوف والطبول .

٢٧٥ باسيانوس : تيتوس ، سيدى ، عن إذذك ! هذه الفتاة لى !
(يمسك بلافينيا)

- تيتوس : كيف ؟ ! أو جاد أنت يا سيدى ؟
- باسيانوس : نعم أيها النبيل تيتوس ، بل مصمم على أن أنتصف لنفسى بهذا الحق وأن أستبقه
- ماركوس : إن عدالتنا الرومانية تقضى بأن يكون لكل ذى حق حقه (١) ،
- ٢٨٠ ولم يفعل الأمير أكثر من أن طالب فى عدل بحقه .
- لوكيوس : لسوف يأخذه ، وسأضمنه أنا له ما دمت حيا .
- تيتوس : ابتعدوا أيها الخونة ، أين حرس الإمبراطور .
- إنها لخيانة يا سيدى ، لقد اختطفت لافينيا !
- ساترنيوس : اختطفت ؟ ! من اختطفها ؟
- ٢٨٥ باسيانوس : إنه صاحب الحق الشرعى فى أن يحمل خطيبته بعيداً عن العالم أجمع !
- (يخرج ماركيوس وباسيانوس بلافينيا)
- موتيسوس : هلم نتعاون أيها الإخوة على الهرب بها بعيداً .
- إنى سأحرس هذا الباب بسيفى .
- (يخرج لوكيوس وكويتوس وماتريوس)
- تيتوس : اتبعنى يا مولاي ، وأنا أرجع بها سريعاً
- موتيسوس : سيدى ، لن تعبر من هنا !
-
- (١) Suum Cuique لكل ذى حق حقه أو ماله .

٤١. ١٢
- ٢٩٠ تيتوس : ماذا ؟ أيها الغلام الشرير !
 أو تُسد في روما ، طريقى ؟ (يطمئن مونيوس)
 مونيوس : النجدة ، يا لوكيوس ، النجدة (يموت)
 لوكيوس : إنك لظلم يا سيدى بل إنك لأكثر من ذلك ،
 فلقد قتلت ابنك في خلاف أنت فيه على باطل .
 تيتوس : ما أنت يا بنى ولا هو .
 ٢٩٥ فما كان لأبنائى أن يثلموا شرفى هكذا ،
 أعيدوا لافينيا للإمبراطور أيها الخونة .
 لوكيوس : نعيدها ميتة إن أردت ، ولن نعيدها حية لتكون
 زوجة ،
 ما دامت الخطيئة الشرعية لرجل آخر . (يخرج)
 ساترنيوس : كفى ، يا تيتوس ، كفى ، فما بالإمبراطور حاجة
 إليها
 ٣٠٠ لا هى ، ولا أنت ، ولا أى ممن لا ذنبك .
 فلقد أثق ، إن سمحت لى ، بمن يسخر منى مرة ،
 ولكنى لن أثق بك أبداً ولا بأولادك المتعجرفين ،
 بعد أن تأمرتم هكذا جميعاً على العبث بشرفى .
 أو لم يكن فى كل روما من تجعلونه هزأتكم
 ٣٠٥ غير ساترنيين ؟ ما أشبه هذه الفعال يا أندرونيكوس ،

بجمععتك الفارغة ، وادعائك الباطل ،
 إننى قد استجديت الإمبراطورية من بين يديك .
 تيتوس : يا للفضاعة ! ما أقسى هذا الكلام واللوم .
 ساترنيوس : هيا امضى فى سبيلك وأعط فتاتك هذه المتداولة بين
 الخطاب ،

٣١٠

لمن شهر سيفه من أجلها .
 إنه لصهر شهم فهنيئاً لك به .
 وإنه لجدير أن يخالط أبناءك العصاة ،
 ليعيثوا فساداً فى أنحاء إمبراطورية روما .
 تيتوس : إن هذه الكلمات كحد السيف على قلبى الجريح .
 ٣١٥ ساترنيوس : وإذن يا تامورا الجميلة ، يا ملكة القوط ،
 يا من طغى نورك على نور أجمل نساء روما ،
 فكنت مثل « فيبي »^(١) الجلييلة بين حاشيتها من
 الحور ،

٣٢٠

لو أن اختياري المفاجئ هذا يسرك ،
 فها أنا ذا أختارك يا تامورا عروساً لى .
 وسأنصّبك إمبراطورة على روما ،

(١) Phoebe : ديانا ، ابنة جوبيتر ، إلهة الصيد كما ورد فى شعر فرجيل

أفصحى ، ملكة القوط ، أو ترجين باختيارى ؟
 وإنى لأقسم بآلهة الرومان جميعاً ،
 أنه ما دام الكاهن والماء المقدس قريين^(١) ،
 وما دامت شموع الفرحة مشتعلة وهاجّة ، وكل شىء
 معد مهياً للقيام بشعائر آلهة الزواج^(٢) ،
 فلن ألقى السلاح على شوارع روما ،
 ولن أضع قصى ، حتى أصعب من هذا المكان ،
 عروسى معى . وقد أصبحت زوجاً لى .

٣٢٥

تامورا : وما أنا ذا أقسم لروما على مشهد من السماء ،
 أن ملكة القوط ، إذا قلدها ساترين هذا الشرف ،
 فلسوف تصبح له خادمة خاضعة لكل رغباته .
 وراعية محبة رؤوماً لشبابه .

٣٣٠

ساترينوس : اصعدى أيتها الملكة الجمية إلى البانثيون ، واصحبوا
 أيها السادة ،

إمبراطوركم النبيل وعروسه الفاتنة ،
 التى أرسلتها السماوات للأمين ساترين ،
 فأصلحت بقبولها الحكيم ما جره عليها القدر .

٣٣٥

(١) الخلط التاريخى واضح هنا فهذه شعائر مسيحية .

(٢) Hymenoeus : إله الزواج .

ولسوف نكمل هناك مراسيم القران .

(يخرجون جميعاً ماعدا تيتوس)

تيتوس : ها أنا ذا لم أدع إلى أن أصحاب هذه العروس ،

فند متى يا تيتوس ، تسير وحيداً

هكذا مهيناً متهماً بكل شر ،

٣٤٠

(يدخل ماركوس ، ولوكيوس ، ومارتيوس)

ماركوس : آه يا تيتوس ، انظر ، انظر ماذا فعلت !

لقد قتلت ابناً لك صالحاً في خلاف طالح .

تيتوس : كلا أيها الزعيم الأحمق ، كلا ، إنه ليس بولدى ،

ولا أنت ، ولا كل هؤلاء المتآمرين على هذه الفعلة ،

التي دنست شرف أسرنا جميعاً .

٣٤٥

إنك لأخ خسيس ، وإنهم لأبناء أخساء .

ولكن ، ائذن لنا أن ندفنه كما يليق به ؛

لوكيوس

امنح « موتيوس » الحق في أن يدفن مع إخوتنا .

تيتوس : ابتعدوا أيها الخونة ، إنه لن يرقد في هذا القبر .

لقد ظل هذا القبر شاهداً قائماً خمسمائة عام ،

٣٥٠

وجددت بناءه ، رائعاً مهيباً ،

ولن يرقد فيه ممجداً إلا من كان جندياً أو خادماً

لروما ،

- لا من يقتل مهيناً في شجار حقير .
ادفنيه حيثما استطعتم ، فليس له مكان هنا .
- ٣٥٥ ماركوس : مولاي ، هذا منك جحود وكفر .
إن فعال ابن أخي موتيوس لتشفع له .
ولا بد أن يدفن مع إخوته .
كوينتوس ومارتيوس : سيدفن أو نلحق به !
- تيتوس : سيدفن ! من الوغد الذي قال هذا ؟ !
٣٦٠ كوينتوس : قالها ، من لو لم يكن أمامك هنا لنفذ كلمته .
تيتوس : ماذا ؟ أو تدفنه رغم أنفي ؟
ماركوس : لا ، يا تيتوس ، أيها النبيل ، ولكني أضرع إليك
أن تغفر لموتيوس وأن تسمح بدفنه هنا .
تيتوس : حتى أنت يا ماركوس ، صوبت نحو رأسي
سهامك ،
وجرحت شرفي مع أولئك الصبية ؛
إني لأعلن أن كلا منكم عدو لي ،
فلا تثيروني أكثر مما فعلتم ؛ وانصرفوا عني
- مارتيوس : إنه غائب عن نفسه ، فهيا ننسحب .
كوينتوس : كلا ، لن أنصرف حتى ندفن رفات موتيوس .
(يركع ماركوس وأولاد تيتوس أمامه)

٣٧٠ ماركوس : أخى ، بهذا الاسم تضرع إليك الطبيعة . .
 كوينتوس : أبى ، والطبيعة تناديك بهذا الاسم ،
 تيتوس : لا تتكلموا بأكثر من هذا ، إن أردتم السلامة
 جميعاً .

ماركوس : تيتوس ، أيها الحفيد ، يا نصف روحى ، بل تزيد ..
 لوكيوس : أبى ، يا روحنا ، وحياتنا جميعاً . .
 ٣٧٥ ماركوس : اسمح لماركوس ، أخيك ، أن يدفن
 هنا ، فى حمى الفضيلة ، ابن أخيه النبيل ،
 هذا الذى مات شريفاً ، مدافعاً عن حق لافينيا ؛
 إنك روماني ، فلا تك بربرياً ،
 إن الإغريق ، عندما نصصحو ، دفنوا آجاكس^(١)
 بما يليق به ،

مع أنه ذبح نفسه ؛ وكان ابن لايرتيس^(٢) الحكيم ٣٨٠

(١) آجاكس : بطل من أبطال الإغريق فى حرب طروادة . اختلف مع پوليس
 حول أسلحة أخيل فلما فاز هذا عليه بها جن من الحزن وراح يضرب قطعان الإغريق على أنها
 أعداؤه ولما تبين خطأه انتحر .

(٢) ابن لايرتيس : پوليس : ملك « إيثاكا » وأبو تلياك وزوج بنلوب ،
 من أهم شخصيات حرب طروادة ، اشتهر فيها بحكته ودهائه ، وصل بعد الحرب طريقه فى
 البحر وظل عشر سنوات يخوض مغامرات كثيرة . إلى أن وصل أخيراً إلى وطنه فقتل المجنين
 المتجمعين حول زوجه بنلوب وعاد ملكاً من جديد . والحادثة المشار إليها فى البيتين هى موضوع
 مسرحية « آجاكس » لسفوكليس .

هو الذى تشفع له مشكورا كى تؤدى إليه طقوس الدفن
كما يجب .

فلا تدع موتىوس الصغير . وقد كان قرّة عينيك ،
يحرم النزول إلى مثواه .

تيتوس : قم ، يا ماركوس ، قم !

إن هذا لأشأم يوم شهدته ،
يوم يثلم فيه أبنائى شرفى وفى روما نفسها ،
هيا ادفنه ، وادفنى من بعده

٣٨٥

(يوضع موتىوس فى القبر)

لوكيوس : يا موتىوس الرقيق ، فلترقد عظامك هنا مع صاحبك
حتى نزين قبرك بأكاليل النصر .

الجميع (راكعين) : لا يذرف الدمع أحد على موتىوس النبيل

وسيخلد فى المجد ، من مات فى سبيل الفضيلة ، ٣٩٠

ماركوس : مولاي ، سأتهجنّب الكلام فى تلكم الأشجان الحزينة ،

قل لى ، كيف أمكن للملكة القوط الماكرة ،
أن يرتفع شأنها فى روما هكذا فجأة .

تيتوس : أنا لا أعرف كيف حدث هذا يا ماركوس . ولكنى

أعلم أنه حدث .

ولا أعلم ، إلا عند السماء ، أهى دبرت هذا أم لا ، ٣٩٥

تري أترعى حق هذا الرجل ،
الذى قادها إلى هذه المكانة العليا

الرفيعة ؟ !

نعم لا بد أنها ستسخر له في الجزاء .

(يدخل ساترنيوس وحرسه من جانب ومعه ثامورا وديمترىوس وشيرون وهارون
ثم يدخل باسيانوس ولانييا وآخرون من الجانب الثانى)

ساترنيوس : أحرزت إذن قصب السبق يا باسيانوس .

فليمتلك الله يا سيد بعروسك الجميلة .

باسيانوس : ولتتلك بعروسك يا مولاي ، لن أزيد على ما قلته ،
ولن أتمنى لك أقل مما دعوت به لك . وإني أستأذنك
فى الانصراف .

ساترنيوس : أيها الخائن ! ما دام فى روما قانون ، وما دامت فى
يدنا قوة ،

فستندم أنبت وشيعتك على ما اغتصبت .

٤٠٥ باسيانوس : أسمى هذا اغتصاباً يا مولاي ، أن آخذ ما أملك ؟

أن آخذ من كانت خطيبتى الشرعية ومن هى الآن

زوجى !

وعلى كل ، فلندع قوانين روما تحكم فى كل هذا !

ولم أن يحين ذلك ، فإننى قد أخذت ما هو لى .

٤٩

ساترينوس : يا سيدى ، إن قحتك معنا قد جاوزت الحد ؛

١٢

٤١٠ وسوف نكون - إن عشنا - أكثر حدة معك .

باسيانوس : مولاي سأدافع قدر استطاعتي عما فعلت ،

وسأستमित في الدفاع ولو كلفني حياتي .

ولكني أريد لجلالتكم أن تعرفوا شيئاً واحداً ؛

إني لأقسم ، بكل حقوق روما على ،

أن هذا السيد النبيل ، تيتوس ، ٤١٥

قد أسىء فهم فعاله ، ومس شرفه .

فقد حاول استنقاذ لافينيا ،

وقتل في هذا أصغر أبنائه بيده .

كل هذا من تحمسه لك ، ومن شدة احتدام

الغضب في نفسه

لما منعه أن يعطيك ما وهبك إياه خالصاً . ٤٢٠

أنزله إذن منزلة الرضى يا ساترين ،

فقد أثبت في فعاله كلها ،

أنه أب ، وصديق لروما ولك .

تيتوس : دعني أيها الأمير باسيانوس ، بل دع فعالى تتكلم

عنى ،

ف ١

٥٠

لقد كنت أنت وهؤلاء أنتم الذين أزرتم بي ؛
إني لأترك لروما . ولعدالة السماء أن تحكم وتقدر ،
كم ذا أحببت ساترين وكم ذا بجلته .

٤٢٥

تامورا : مولاي العظيم ، إذا كانت تامورا يوماً ما

قد حظيت منكم بالرضى

فاسمح لي أن أطلب لهم العفو جميعاً دون تحيز لك
أو لهم ؛

٤٣٠

واقبل أيها الحبيب ضراعتي لأن تصفح عما مضى .

ساترينوس : ما هذا يا سيدى ! أو أهان علنا ،

ثم أحلّ الموقف في ندالة دون انتقام .

تامورا : حاشا يا مولاي ، إن آلهة روما لتأتى ،

أن أكون سبباً في المساس بشرفك .

٤٣٥

غير أنني أجزؤ فأقسم بشرفي ،

أن السيد ، تيتوس النيبيل ، برىء كل البراءة ؛

وأن ثورته التي لم يستطع أن يداريها ، إنما تم عن

صدق أحزانه .

فاقبل إذن ضراعتي . وانظر إليه بعين العطف ؛

ولا تفقد مثل هذا الصديق النيبيل لمجرد ظن فارغ .

٤٤٠

ولا تحزن قلبه الحنون بنظراتك الغاضبة .

(على حدة لساترينيوس) مولاي ، أطني ودعني

أقنعك أخيراً ، ودار غضبك وغيظك :

إنك مازلت حديث عهد بعرشك ،

٤٤٥

وأخاف إن استعرض الشعب والزعماء

الأمر في عدل أن يقفوا في صف تيتوس ،

وأن يسقطوك عن عرشك بتهمة الجحود ،

وإن القوم في روما يرون الجحود إثماً شنيعاً .

استجب إذن لضراعتي ، واترك أمرهم إلى ،

فسأجد اليوم المناسب الذي أذبهم فيه كلهم

٤٥٠

ذبحاً .

وأستأصل شأفتهم وشأفة شيعتهم وأسرهم ؛

هذا الأب القاسي وأبناؤه الخونة ،

الذين ضرعت إليهم للإبقاء على حياة ابني الغالي ؛

سأعرفهم ما جزاء من يترك ملكة

تركع في الشارع ، لتستجدي العفو عبثاً .

٤٥٥

(بصوت عال) : هلم ، أيها الإمبراطور العزيز ، وتعال يا أندرونيكوس

قرب إليك الشيخ النبيل وأد الفرحة على قلب

كاد يموت متأثراً بعواصف غضبك .

ساترينيوس : قم يا تيتوس ، قم ، قد انتصرت مليكتي .

١ ف

٥٢

٤٦٠ تيتوس : أنا أشكر لجلالتكم وجلالتها ،
تلكم الكلمات والنظرات التي بثت الحياة في من
جديده ،

تامورا : أنا الآن يا تيتوس ، قد ارتبطت بروما ،
ومن حسن طالعي أن أصبحت رومانية ؛
فلا بد لي إذن من أن أنصح الإمبراطور بما فيه
خيره ؛

٤٦٥ فلنقض اليوم على الخلافات جميعاً يا أندرونيكوس ؛
ويا مولاي العزيز ، هبني شرف
التوفيق بينك وبين صحبك .
أيها الأمير باسيانوس ، قد ضمنت نيابة عنك ،
للإمبراطور بشرق وبوعدي ،
أنك ستكون ألين طبعاً وأسلس قياداً .
٤٧٠ أما أنتم أيها السادة ، وأنتم يا لافينيا ، فلا تخشوا
شيئاً ،

نفذوا أمري ، واركعوا خاضعين ،
لطلب العفو من جلالتهم .
٤٧٥ لوكيوس : إننا لنفعل ، ونقسم لسموات ، وجلالته ،
إن ما فعلناه ، كان أرفق ما نستطيع أن نفعل ؛

ذوداً عن شرفنا وشرف أختنا .

ماركوس : وأنا أيضاً أقسم بشرفي على هذا .
ساترنيوس : إليك عنا ولا تتكلم ، ولا ترعجنا أكثر من هذا .
تامورا : لا ، يا مولاي العزيز ، لا بد لنا جميعاً من أن نكون أصدقاء ؛

إن الزعيم وأولاد أخيه يركعون طالين العفو :
وأنت لن ترفض طلبي ! التفت إليهم يا حبيبي
العزيز .

٤٨٠

ساترنيوس : إكراماً لك يا ماركوس ؛ وإكراماً لأخيك هذا ،
ونزولاً على رجاء عزيزتنا ، تامورا ،
أتغاضي عما اقترفه أولئك الشبان من جرائم نكراء .
انهضوا .

٤٨٥

وإن كنت يا لافينيا ، قد تركتني وكأنني من الدهماء ،
فإنني وجدت بدلاً منك رفيقة أخرى ؛ وإنني لأقسم
يميناً يقينها كيقين الموت
ألا أترك الكاهن وأنا أعزب .

هلم بنا ، وإذا كان في وسع بلاط الإمبراطور أن
يحتقن بعروسين
فلتكوني ضيفي ، يا لافينيا ، أنت وصحبك .

٤٩٠

ف ١

٥٤

ولنجعل اليوم ، يا تامورا ، يوم الحب .

تيتوس : وفي الغد ، إن شئت جلالتك ،

نخرج معاً لقنص الفهد والغزال ،

ونحيي جلالتك تحية الصباح بالبقق ونباح الكلاب .

٩٥ : ساترنيوس : فليكن الأمر كذلك ، يا تيتوس ، وليكن الشكر

عظيماً أيضاً .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المنظر الأول

روما — أمام القصر

يدخل هارون وحده

هارون

: الآن ترتقي تامورا قمة الأولمب ،
 في مأمن من سهام القدر ، تنبأ مكاناً رفيعاً
 بمنجاة من قصف الرعود وومض البروق ،
 سامية لا تتناول تهديدها قبضة حاسد ممرور .
 كأنها الشمس الذهبية عندما تحيي الصباح ،
 حتى إذا ما بسطت على المحيط شعاعها ولألاعها
 أسرعت تعبر الأفلاك بمركبها الوهاج ،
 مرتفعة فوق أعلى ذرى الجبال . تطل عليها بازدياء .
 تلك هي الآن تامورا !

٥

يقف الشرف الدنيوى في خدمة حكمته ويلين لها ،
 وتركع لها الفضيلة خاضعة وترتعد من غضبتها .

١٠

هلم يا هارون إذن ، وسلح قلبك ، وهي خواطرك ،
لكى ترقى عالياً مع عشيقتك الإمبراطورية ،
وتصعد إلى حيث تحلق تلك التى ظفرت بها طويلاً ،
بأن جعلتها أسيرتك ، مصفدة بقيود الغرام ،
قد أوثقت إلى نظرة هارون الآسرة ، بسلاسل
أشد مما أوثق به بروميثيوس^(١) ، إلى صخرة القوقاز .
انزع يا هارون ثياب الرق واطرح أفكار العبيد .
فسأتوهج باللاكى* وأتألق بالذهب ،

كما أقف على خدمة هذه التى جعلوها إمبراطورة
حديثاً .

ولكنى ! هل قلت أقف على خدمتها ؟ لا بل أتمتع
بالمملكة ،

بهذه الإلهة . بسميراميس^(٢) هذه الحورية ،

(١) بروميثيوس : إله النار (هو نصف إله) ابن الجبار «جابت» سرق النار للبشر من
السماء ضاق به «جوير» أى زيوس بأن جعل الإله فولكان يقيده إلى جبل القوقاز وسلط
عليه نيراً ضخماً يأكل من كبده، وكلما فئيت الكبد جدها له حتى جاء هرقل فخلصه .
(٢) سميراميس - زوج فينوس ومملكة آشور الأسطورية التى اشتهرت بمجالها وطموحها
وميلها إلى الشهوات .

عروس الماء (١) التي ستسحر ساتورنين روما
حتى تشهد مصرعه وتمزيق دولته
عجباً ! ما هذه العاصفة ؟

٢٥

(يدخل ديمتريوس وشيرون وهما يتشاجران)

ديمتريوس : شيرون ، إن شيخوختك ينقصها الفهم ، وفهمك

ينقصه الحزم

والأدب . حتى تقتحم على ما بلغت أنا من المكاة
فتصير محبوباً ، فيما تعلم .

شيرون : إنك كثير الادعاء دائماً يا ديمتريوس .

وها أنت ذا الآن تحاول أن تغلبي بتبجحك .

٣٠

إن فارق السن بسنة أو ستين ، لا يجعلني
أقل حظوة ولا يجعلك أوفر نصيباً .

إنني مثلك لا فرق بيننا ، إنني كفء ، قادر

على أن أخدم حبيبتي وأن أستحق رضاها .

وسأثبت هذا بسيفي وهو يعلو سيفك ،

٣٥

مدافعاً عن حق في الميل نحو لافينيا ، وفي حبها .

هارون : شجار بالسلاح ! شجار بالسلاح ! هذان العاشقان

(١) الإشارة هنا إلى عرائس البحر التي تسحر البحارة بغنائها وتجذبهم إلى أعماقه

لتنحطم مراكبهم على الصخور .

٢ ف

٥٨

لا يهدآن .

ديمثريوس : ما هذا يا بنى . أألن تسرعت أمنا .
فعلقت إلى جانبك سيفاً تلبسه فى الرقص .

تهور ، وتهدد أصدقاءك .

٤٠

إليك عنى ، ودع نصلك مستقراً فى غمده ،
حتى تتعلم كيف تحسن حمله .

شرون : ومع ذلك يا سيدى فلانى بما أوتيت من مهارة ضئيلة
سأريك جيداً إلى أى مدى تصل جرائى .

ديمثريوس : أو أصبحت شجاعاً إلى هذا الحد أيها الغلام ؟

(يستلان سيفهما)

٤١ هارون : ماذا ؟ ما هذا أيها السيدان ؟

أوتجرؤان ، وأنتما بهذا القرب من قصر الإمبراطور ،
أن تتبارزا ،

وأن تثيرا علناً مثل هذا الشجار .

إننى لأعرف جيداً كل أسباب هذه الضغينة ،

ولن أرضى ، وإن أعطيت مليوناً من الذهب ،

أن يعلم السبب من يخصهم الأمر ،

٥٠

كما أننى لن أرضى . ولا بأكثر من هذا ، أن أرى

أمكما النبيلة ،

وقد امتن شرفها على هذا النحو فى بلاط روما .

اخجلأ إذن ، وأعمدا سيفيكما ،
ديمتريوس : لن أفعل ، حتى أعمد

نصلى فى صدره ، بل حتى
أرد إلى حلقه هذه الكلمات اللاذعة
التي نطق بها ليهيننى هنا .

٥٥

شرون : وهأناذا مستعد مصمم كل التصميم ،
أيها الرعديد البذى ، الذى يرعد بلسانه ،
ولا يجرؤ على إتيان شىء بسيفه .

٦٠ هارون : قلت لكما أقصرا ؛

فبحق الآلهة التى يعبدها القوط المحاربون ،
إن هذا العراك التزق السخيف سيودى بنا جميعاً .
ثم ما هذا أيها السيدان ! ألا تدركان ما فى هذا
التعدى من خطر على حقوق أمير ؟

٦٥

ما هذا ، أو قد بلغت لافيتيا ، من الابتذال ،
وبلغ باسيانوس من الهوان
أن تثار علناً على حبها مثل هذه المعارك ،
دون مراعاة للحدود أو المبالاة بحق أو خوف من
انتقام ؟

احذرا أيها السيدان الصغيران : فلو عرفت الإمبراطورة

ف ٢

٦٠

أسباب ما بينكما من تنافر . لما أطربتها الأصوات
التي تحدثانها .

٧٠

شIRON : لا يهمنى أن تعلم ، أو أن تعلم الدنيا كلها ،
إننى أحب لافينيا ، أكثر من الدنيا بأسرها .
ديمتريوس : أيها الصغير العزيز رُض نفسك على أن يكون
اختيارك أكثر تواضعاً ،

فإن لافينيا هي مطمح أخيك الأكبر .
٧٥ هارون : عجباً . هل جنتنا ، ألا تعلمان أن القوم في روما
يستشيطنون غضباً . ولا يستطيعون الصبر

أو احتمال التنافس في الحب ؟
وإني لأؤكد لكما أيها السيدان أنكما بهذا التصرف
إنما تدبران لأنفسكما الموت تديراً .

شIRON : هارون إن ألف مئة
ترضىنى . وأقبلها ، إذا كنت أفوز بمن أحب !
٨٠ هارون : تفوز بها ؟ كيف ؟

ديمتريوس : لماذا تجعل الأمر يبدو لك إلى
هذا الحد غريباً ؟

إنها امرأة ، إذن فيمكن أن تستمال ،
وهي امرأة ، إذن فمن الممكن أن يظفر بها ،
ثم هي لافينيا ، فلا بد إذن أن تُحب .

١٢

٦١

٨٥

ماذا يا رجل ! إن الساقية لير بها من الماء ،
ما لا يعلم به الواقف عليها ، ومن السهل
كما تعلم ، إذا ما انكسر الرغيف أن تسرق لقمة منه .
حقاً إن باسيانوس أخو الإمبراطور ،
ولكن كم حمل شعار فولكان (١) المخدوع من هم
خبر منه .

هارون (على حدة) : حقاً ، بل قد يحمله أمثال ساترنيوس
نفسه .

٩٠

ديمتر يوس : لماذا ييأس إذن ، من يتقن فن استمالها
بالكلمات ، ورقيق النظرات ، وسخى الهدايا .
ويحك ، أو لم يحدث لك مراراً أن أصبت ظلياً (٢) ،
ثم حملته خفيفاً ، دون أن يلمحك حارسه ؟
هارون : إذن ، فأنت ، فيما يبدو ، ترى أن استلابها أو شيئاً
من هذا القبيل

كفيل أن ينيلك منها بغيتك ؟

٩٥

(١) فولكان ، إله النار والمعادن لدى الرومان . وهو ابن « لجوبتر » من جينون .
تزوج من فينوس إلهة الجمال على الرغم من وجهه الدميم وجسمه المشوه . وشعار فولكان إشارة
إلى كل زوج مخدوع .
(٢) يشير البيت إلى سرقة الأطفال للغزلان ، وكانت عادة شائعة عند الأطفال في
المنطقة التي نشأ بها شكسير .

شIRON : نعم ، فهكذا أبلغ المرام .

ديمتريوس : أصبت يا هارون ، وأدركت الأمر

هارون : وددت لو أنكما أدركتماه أيضاً !

لنستريح من هذا العناء . .

أنصتا إلى ، أنصتا ! هل بلغت بكما الحماية

أن تشاجرا على هذا ؟ أيسوؤكما

أن تفوزا أنما الاثنان ؟

١٠٠

شIRON : أنا والله ، لا يسوؤني

ديمتريوس : ولا أنا ما دمت من الفائزين .

هارون : اخجلا إذن ، وتصادقا واتفقا على ما قد فرق بينكما .

إن الدهاء والحيلة ، هما اللذان

يحققان ما تريدان ، ولا بد أن تقتنعا

بأن المرء إذا لم يستطع أن ينال بغيته كما يشتهي

١٠٥

فعليه أن ينال بالقوة ما يستطيع .

نعم ، خلدا هذا عنى مؤكدا : أن « لوكرشيا »^(١)

نفسها لم تفق في العفة ،

لافينيا التي يحبها باسيانوس .

(١) لوكرشيا - قتلت نفسها بعد أن اعتدى عليها تاركوين . يضرب بها المثل في

العفة وإثبات الموت على المار .

- ١٢
- ٦٣ ولكن ثمة طريق آخر أسرع من طريق هذا التودد البطيء الأمد .
- ١١٠ وعلينا أن نتبعه ، لقد وجدت هذا الطريق : فقريباً ، أيها السادة ، سيكون هناك موكب رسمي رائع للقنص ، وهناك ، ستتجمع نساء روما الجميلات ، والغابة طرقاتها واسعة فسيحة ، وبها مواضع كثيرة غير مطروقة ،
- ١١٥ كأنما أعدت إعداداً طبيعياً للاغتصاب وللإثم . انفراداً إذن هناك . بتلك الظبية الوديعه ، وخذلها بالقوة . إن لم تجد معها الكلمات . ولا تأملاني نجاح بغير هذه الطريقة ، وإلا فاعدلا عدولا تاماً .
- ١٢٠ هيا ، هيا . فعلى إمبراطورتنا ذات الذكاء القدسي التي سخرت مواهبها للشر والانتقام . سنعرض أمر كل ما انتويناه القيام به . لأنها ستُحكم بمشورتها مؤامراتنا فإنها لن ترضى لكما أن يضرب كل منكما صاحبه ، وإنما ستبلغكما معاً أقصى ما تشبهان .
- ١٢٥

وما أشبه بلاط الإمبراطور بمركز للإشاعات ،
فالقصر ملئ بالألسنة والأعين والآذان ،
أما الغابة فلإنها قاسية . مخيفة ، صماء ، بلهاء ،
فتكلما هناك أيها الشجعان إذن ، واضربا ، وتعاقبا
عليها ،
نعم ، هناك أرضيا رغبتكما متواريين عن عين السماء ،
وتمتعا بما لدى لافينيا من كنوز الجمال .

١٣٠

شIRON : إنها لحظة تتطلب المرأة النادرة .
ديمتريوس : أما أنا فسواء أكان هذا شراً أم خيراً فلإني مقيم .
حتى أجد النبع الذي يبرد لواعجى ، والرقية التي
تشفى نوباتى ،
كما أقامت فيدرا (١) لاتريم على ضفاف
« ستيكس » بين أشباح الموتى .
(يخرجون)

١٣٥

(١) Per Styga, per menes Vehor — المنى المقصود هو « أن شيئاً لن يصرفه »

والجنتلمان من مسرحية سنكا Phydra « فيدرا » .

الفصل الثانى

المنظر الثانى

غاية - أبواق ونباح كلاب الصيد . يدخل تيتوس أندرونيكوس
وصيادون . . ثم ماركوس ولوكيوس وكويتوس ومارتيوس

- تيتوس : بدأ الصيد والنهار سافر أشهب ،
والحقول عبقة والحراج خضراء .
فلنطلق الكلاب لترفع صوتها بالنباح ،
حتى يستيقظ الإمبراطور عروسه الجميلة ،
وينهض الأمير . اقرعوا أجراس الصيد ،
حتى يمتلئ البلاط بأصضاء دويها
ولتكن مهمتكم يا أولادى . كمهمتى ،
أن تحرسوا الإمبراطور بكل عناية .
فقد أزعجت فى منامى الليلة ،
وإن كان النهار الوليد قد ألهمنى السكينة من جديد . ١٠
(تنبح الكلاب وينفخ فى الأبواق . ويدخل ساترنيوس
وباسيانوس ولافينيا ، وديمترىوس وشيرون والحاشية) .
ألف صباح الخير يا مولاي ،
ولك مثلها يا سيدتى ، إشرافاً وعدداً .

لقد وعدت جلالتكما أن أطلق لكما دعاء الصائدين .

ساترنيوس : ولكنكم قد قرعتم ، أيها السادة ، الطبول قرعاً عنيفاً ،
مبكرين بها بعض الشيء على السيدات حديثات
عهد بالزواج .

باسيانوس : ماذا تقولين في هذا يا لافينيا ؟

لافينيا : إنه غير صحيح

فأنا مستيقظة كل اليقظة منذ ساعتين أو أكثر .

ساترنيوس : هلم بنا إذن ، أعدوا لنا الجياد والعربات ،
وهيا لصيدنا . (لتامورا) ستشهدين الآن يا سيدتي ،
قنصنا الروماني .

٢٠ ماركوس : لدى يا مولاي من الكلاب

ما يثير أكثر الثمرات في منطقة الصيد ، زهواً بقوتها ،
وفي وسعها صمود قمع الآكام العالية .

تيتوس : ولدى من الجياد ما يلحق بالصيد

أيها ذهب ، وما يعدو على السهول بسرعة الطير .

٢٥ ديمتر يوس : أما نحن - يا شيرون ، فلن نصطاد لا بالكلب

ولا بالحواد

ولكننا نأمل أن نلقى بظبي للذيد أرضاً .

(يخرجون)

الفصل الثاني

المنظر الثالث

موضع منزل في الغابة - يدخل هارون وفي يده حقيبة بها ذهب

هارون : قد يظن الفطن أني عديم الفطنة
إذ أدفن كل هذا الذهب ، تحت شجرة ،
ولست أنوي العودة لأسترده .
فليعلم إذن ، من يزدريني ،
أن هذا الذهب إنما تحاك به خيوط مؤامرة .
سيتولد عنها - لو نفذت بدهاء وحذر -
نوع رائع من الشر والإجرام .
ارقد هادئاً إذن أيها الذهب الحبيب لتقلق بال هؤلاء .
(يعني الذهب)
الذين يلتمسون العطاء من ذخيرة الإمبراطورة^(١)
(تدخل تامورا)
تامورا : حبيبي هارون ، لم يبدو الحزن في نظرتك وكل
شيء يزدهي بهيجاً

(١) معنى البيت غامض ، ويظن أن المقصود بالعطاء العقاب والانتقام وأن صندوق الإمبراطورة أو ذخيرتها يعني دهاها الفذ الذي لا يفكر إلا في الشر لم .

إن الأطيّار لتنشد الأنغام على كل غصن ،
 وإن الثعبان ليرقد ملتفّاً حول نفسه في الشمس المنعشة ،
 والنسيم الرطب يهز أوراق الشجر الخضراء
 فترسم ظلالها خطوطاً متقاطعة على الأرض .
 هلم بنا يا هارون ، نجلس إلى فيها الظليل ،
 نسمع الصدى المجمع يسخر من نباح الكلاب ،
 ويردد الصوت محيياً الأبواق وهي توقع الأنغام ،
 فكأنما هناك موكبان للصيد يسمعان في آن واحد .
 هلم نفرش الأرض لننصت إلى صوت صياحهم ،
 وكأنما قد انتهينا من جهد ، كهذا الذي بذله فيما يروى
 الأمير الجواب ثم تمتع به هو وديدو^(١)
 عندما فاجأتهما عاصفة مسعدة
 فاستترا بكهف يخفي السر ويكتمه
 هيا فليلتف كل منا في أحضان الآخر مثلهما ،
 حتى إذا فرغنا من متعتنا استسلمنا إلى نوم هنيء .
 في حين تكون الكلاب ، والأبواق ، والأطيّار الشادية ،

٢٠

٢٥

٣٠

(١) ديدو : أميرة يروى عنها في الأساطير الرومانية أنها أسست قرطاجنة وأصبحت ملكة عليها ، وقد خلد فرجيل قصة حبها مع إينياس البطل الطروادي الذي ظل يحوب البحار بعد سقوط طروادة حتى وصل إلى قرطاجنة فأحبته « ديدو » ثم قتلت نفسها بعد أن تركها وسافر .

٦٩ .

٣٢ .

قد تألقت من حولنا وكأنها أغنية أم روم
ترنم بها لطفلها لينام .

هارون : سيدتى ، إن كانت فينوس^(١) بجها تتحكم فى
رغباتكم

٣٥

فإن ساترن^(٢) بنحسه يسيطر على رغبتى .
ولأ ففيم النظرة الثابتة المحملقة فى عبنى ؟
ولم هذا الصمت وهذا الحزن المكفهر ؟
لماذا تسترسل الآن غدائر شعرى المجدد
وكانه حية رقطاع تتمدد لكى تأتى عملا مميتاً ؟

٤٠

إن هذه ليست أمارات الشهوة يا سيدتى ،
إنما هى أمارات الانتقام فى قلبى ، والموت فى يدى ،
والدم والثأر يدقان كالمطارق فى رأسى .
أنصتى ، يا تامورا ، يا مليكة روحى ،
وروحى لا تطمع فى نعيم أكثر مما تجده فىك ،
إن اليوم هو يوم حساب باسيانوس ،

٤٥

(١) فينوس : الزهرة إلهة الحب .

(٢) ساترن : زحل : يعتقد الناس أن لساترن أثراً سيئاً فى مواليد برججه وأنه يدفع بهم
إلى الكوارث بل الجرائم .

ولا مفر من أن تفقد زوجه لسانها كفيلوميل^(١) .
 إن ابنك سيغتصبان عفافها ،
 ثم يغسلان أيديهما في دماء باسيانوس .
 أترين هذا الخطاب ، إلى أرجوك أن تحمله
 وتعطيه للإمبراطور ، ففي الورقة الملفوفة مؤامرة
 فتاة .

••

لا تسألني شيئاً آخر الآن فلننا مراقبان ،
 وأرى مقبلاً علينا جزء من غنيمتنا المرجوة ،
 لم يفزعهم بعد ، ما ينتظر حياتهم من دمار وفناء .
 تامورا : آه أيها الأسمر العزيز ، يا من هو أعز عندي من
 الحياة .

هارون : كفى الآن ، أيتها الإمبراطورة العظيمة ، لقد جاء
 باسيانوس ،

••

فاصطنعي الغضب منه حتى آتي بأبنائك ،

(١) فيلوميل : ابنة باندوين ملك أثينا وأخت بروجنى اعتلى عليها صهرها وزوج
 اغتبا تيريوس ملك تراقيا ثم قطع لسانها حتى لا تفصح جريمته . ولكنها استطاعت أن تنسج
 صورة على قطعة من القماش رسمت عليها الجريمة . وعند ذلك اتفقت الأختان على الانتقام
 وقتلتا ابن المجرم وقدمته لأبيه في طعامه . وعندما علم تيريوس بذلك أراد الانتقام من جديد
 فسخت فيلوميل نفسها بلبلًا وبروجنى قبلة لتهربا منه .

فيناصروك في شجارك معه أياً كان سببه .

(يخرج باسيانوس ولافيتيا وقد سمعا آخر الحديث)

باسيانوس : من ذا نرى هنا ؟ أهى إمبراطورة روما الملكية ،

عاطلة عن حاشيتها اللائقة بمقامها ،

أم أنها ديانا ، قد تزيت بزيها

وهجرت أحراجها القدسية ،

لتشاهد القنص العظيم في هذه الغابة ؟

تامورا : أيها الوقح المجترى المتلصص على خطواتنا ،

لو أن لى القدرة ، التى يقولون إنها كانت لديانا

لغرس الآن على جبينك

قرنين كقرنى أكتيون (١) ، ولأطلقت الكلاب

خلف أطرافك بعد أن أكون قد فرغت من مسخها

أيها الوقح المتطفل !

لافيتيا : على رسلك ، أيتها الإمبراطورة اللطيفة !

فالشائع عنك أن لك موهبة عظيمة في تركيب القرون ،

وأغلب الظن أنك وهذا الأسمر ،

انفردتما هنا لتقوموا بتجارب في هذا الشأن .

(١) أكتيون : صائد يونانى تلصص على أرتيمس إلهة الصيد وهى تستحم فمسخته

وعلا وعدت وراء الكلاب حتى مزقته .

٢ ف

٧٢

فليحم الله زوجك من كلابه اليوم ،
٧٠ فلما لأخشى ، واحسرتاه أن تحسبه الكلاب وعلا .
باسيانوس : صدقني أيتها الملاكه ، إن هذا القرى^(١) الأسمر
الذى لا يعرف نور النهار ،

٧٥

قد صبغ شرفك بلون جسمه ؛
فأصبح ملطخاً ، تقرأ ، بغيضاً .
لماذا انفصلت عن حاشيتك كلها
ولماذا نزلت عن جوادك الأصيل ، الأبيض كالثلج ،
وجلت بعيداً حتى وصلت إلى هذه البقعة المنعزلة
لا يصحبك غير أسمر من الهمج ،
٨٠ إن لم يكن رائدك الذى قاد خطاك إلى هنا هو الشهوة
الاثيمة ؟

لافينيا : فلما فوجئت فى عبثك وفسادك
كان هذا سبباً كافياً لاتهام مولاي النيل
بالقحة . أرجوك ، هيا بنا من هنا ،
ودعها تنعم بحبيبتها الأسود سواد الغربان ،
٨٥ فما أصلح هذا الوادى ، لهذا الغرض .

(١) Cimrierien يقال إنهم قوم يعيشون بعيدين عن ضوء الشمس .

باسيانوس : سيعلم بكل هذا أخى الملك .
 لا فينيا : نعم ، فنذ زمن ، والناس تعلم عنك هذه المخازى .
 ألا ما أطيبه من ملك . وما كان لمثله أن يهان هذه
 الإهانة الفظيعة !

تامورا : لم أصبر على احتمال هذا كله ؟

(يدخل ديمتريوس وشيرون)

٩٠ ديمتريوس : ماذا هناك أيها الملكة العزيزة ؟ ماذا أيتها الأم
 الكريمة ،

لم يبدو على جلالتك الشحوب والذبول .

تامورا : أما يليق بي أن أكون شاحبة

وقد استدرجنى هذان الاثنان إلى هذا المكان ،

إلى واد أجرد بغيض كما ترى ،

٩٥

قد زوت أشجاره ، وتعمرت غصونها ونحن ما زلنا

فى الصيف ،

وطغى على أرضه الدابوق (١) والطحلب .

إن الشمس لا تشرق هنا أبداً ولا يخصب هنا

(١) الدابوق Viscum Album نبات طفيل ينبت فى أوروبا وينمو فى بريطانيا

بكثرة على أشجار التفاح . تميل ثمرته إلى البياض ، ويصنع منها عجينة تغطى بها الأغصان
 فتصيد الطيور التى تلتصق عليها .

- إلا يوم الليل وغراب البين المشؤوم .
وعندما كشفنا لى عن هذه الحفرة البغيضة ، ١٠٠
قالا لى : هنا ، بعد أن يهدأ الليل ويشتد الظلام
سيخرج ألف شيطان ، وألف ثعبان ،
وعشرة آلاف ضفدع سام ومثلها من العفاريت عدداً ،
لتصدر عنهم جميعاً ، صيحات مخيفة مختلطة ،
لا يكاد يسمعها كائن حى ، ١٠٥
حتى يجن جنوناً أو يموت فجأة .
وما كادا يفرغان من هذه الحكاية الجهنمية ،
حتى قالوا لى ، لإنهما سيقومان بشد وثاقى هنا ،
إلى جذع شجرة مشؤومة من السرو ،
ثم يتركانى لهذه الميتة الشنعاء . ١١٠
وراحا يطلقان على سبابهما : أيتها الزانية الأثيمة ،
أيتها القوطية الشهوانية ، وكل لفظ قارص ،
فى هذا المعنى يمكن أن تسمعه أذن .
ولولا أنكما قدمتما ، بمصادفة عجيبة ،
لكانا قد نفذنا انتقامهما فى . ١١٥
انتقما إذن ، بحق ما ترغبان لأكما من حياة ،
وإلا فلستما ابنى بعد اليوم .

ديمتريوس : إليك الدليل على أننى ابنك
(يطنن باسيانوس)

شIRON : وتلك منى ، ضربة فى الصميم لتثبت قوتى
(يطنن باسيانوس أيضاً فيموت)

١٢٠ لافينيا : هلم أنت يا سمراميس الفاجرة . لابل يا تامورا المتوحشة
فما يليق بطبيعتك اسم غير اسمك .

تامورا : أعطيانى هذا الخنجر ، فستريان يا ابنى
أن لأمكما يداً تستطيع أن تغسل عنها الإهانة .
ديمتريوس : مهلا يا سيدتى ، فأمامها من الجزاء شر من هذا ،
سندرس القمح أولاً ثم نحرق القش .

١٢٥

إن هذه الصبية تفاخر بعفافها ، وتعتر
بالولاء ليمين الزوج وبإخلاصها له .
إنها تتحدى جلالتك ، بهذا الأمل الخلاب ،
أن تدفن فى قبرها وهى وفية مخلصه ، فهل نمكنها
من ذلك ؟

١٣٠ شIRON : لو أنها فعلت ذلك لتمنيت أن أكون بخصياً .

اسحب جثة زوجها إلى حفرة خفية هنا
لنتخذ من جسده الميت وساداً للملاذنا .

تامورا : ولكن ، إذا ما حصلتما على ما تشتهان من عسل

فلا تتركنا النحلة تعيش لتلدغنا جميعاً .

١٣٥ شIRON : اطمئني يا سيدتي ، سنستوثق من كل هذا .

تعالى ، يا حلوة ، فسنستمتع رغم أنفك
بهذا الشرف الذي أحسنت صونه .

لافينيا : آه يا تامورا ، ألاك حقاً وجه امرأة ؟ !

تامورا : إني لا أحتمل سماعها تتكلم ، خذوها بعيداً .

١٤٠ لافينيا : أيها السادة الكرام ، استحلفوها أن تسمع مني كلمة

واحدة .

ديمتريوس : أنصتي لها يا سيدتي ، وليكن من دواعي فخارك

أنك تشهدين دموعها ، ولكن ليكن قلبك من

دموعها

كقطعة من الصوان لا تلين لقطرات المطر .

لافينيا : منذ متى علمت الجراء الصغار أنهم النمر ؟

لا تلقنوها ما الحق ، فقد علمتكم إياه .

١٤٥

إن اللبن الذي رضعتموه منها قد استحال إلى جلمود

صخر ،

فتعلمن القسوة والطغيان وأنتم على ثديها .

ولكن ، قد يختلف الأبناء وأهمهم واحدة

(منصرفة إلى شIRON)

توسل إليها أن تثبت أن لها شفقة امرأة .

١٥٠ شيرون : ماذا ؟ أتريديني أن أثبت لك أني ابن الإثم ؛

لا فينيا : حقاً ، إن الغراب لا يلد قبرة .

ولكن ، كم سمعت — وآه لو يتحقق هذا الآن ! —

إن الأسد قبيل يوماً ، وقد حركته الشفقة ،

أن تقلم أظفاره النبيلة كلها .

ويقال إن الغربان قد تعطف على الطفل اليتيم

١٥٥

حتى لتترك فراخها في الوكر تموت جوعاً .

كوفي لي مثلها ، وإن أبي قلبك القاسي ،

إني لا أطمع منك في كرم ككرمها ولكني أطمع

في جزء من شفقتها .

: أنا لا أفهم ما تعنين ، خذوها بعيداً .

تامورا

: دعيني أفهمك ، أستحلفك بأبي

١٦٠ لا فينيا

الذي أنقذ حياتك وكان في إمكانه أن يقتلك ،

ألا تكوني قاسية القلب ، وافتحي لي آذانك الصماء .

: إذا كنت أنت لم تسيئي إلى

تامورا

فإنني — من أجله هو — أقسو عليك قسوة لا ترحم .

تذكرا يا ولدي ، كم ذرفت الدمع عبثاً ،

١٦٥

لأنقذ أخاكم من أن يضحى به .

غير أن أندرونيكوس المتوحش ، لم يلن لى .
 خذاها إذن بعيداً ، وافعل بها ما شئتما
 وبمقدار ما تسيئان إليها سيزداد حبي لكما .

١٧٠ لافينيا : يا تامورا كوني رفيقة ، واقتليني هنا ، أنت بيديك ،
 فما كنت لا أطيل الرجاء لو أننى سألت الحياة ،
 ولكننى أنا المسكينة ، قد انتهت حياتى منذ مات
 باسيانوس .

تامورا : ماذا تسألينى إذن أيتها المحنونة ، ابعدى عني ا،
 لافينيا : لا أسألك إلا الموت السريع ، وشيئاً آخر فحسب ،
 ١٧٥ شيئاً تستنكر أنوثتى أن يفصح به لسانى ،
 احمينى من شهوتهم فهى شر من القتل ؛
 ألقى بى فى أية حفرة بغیضة ،
 حتى لا تقع على جثتى عين إنسان .
 إنك إن فعلت بى هذا ، كنت قاتلة رحيمة .

١٨٠ تامورا : أو أسلب أولادى الأعزاء ، أجرهما ؟
 كلا ، سأتركهما ليشبعا شهوتهما منك .

ديمتريوس : هيا فقد أخرتنا هنا طويلا .

٧٩

أما من رحمة ، أما من حرمة للعرض ، أيتها الحيوان
المفترس ،

يا عدوة المرأة وجنسها كله يا وصمة الشرف

ألا فليحل الخراب . . .

: سامنع إذن لسانك من الكلام ، هات زوجها ،
فهذه هى الحفرة التى أمرنا هارون أن نخفيه فيها
(يلقى ديمتريوس بجثة باسيانوس فى الحفرة ويخرج هو وشيرون
وهما يجلبان لافينيا)

: مع السلامة يا بنى ، تأكدا من الإجهاز عليه .
فلن يعرف قلبى الفرحه حقاً ،

حتى يُقضى على آل أندرونيكوس جميعاً .
فلاذهب الآن لأبحث عن أسمرى المحبوب . .
تاركة لولدى الملتهمين أن يمتنها عرض هذه العاهرة .
(تخرج . ويدخل هارون ومعه كوينتوس ومارينوس)

: تقدما يا سيدى ، وليكن السبق فى الخطو الخير
قدى كل منكما

سأصل بكما حالا إلى الحفرة البشعة ،

التى اكتشفت فيها فهذا غارقاً فى نومه .

٣٢

لافينيا

١٨٥

شيرون

تامورا

١٩٠

هارون

١٩٥

ف ٢

٨٠

كوييتوس : مهما يكن ما نتوقع فإن بصرى قد كل (١)
مارتيوس : وبصرى أيضاً ، وأقول لك الحق ، لولا الملامة ،
لتركت صيدنا ونمت برهة .

(يقع في الحفرة)

كوييتوس : ماذا ؟ أوقعت ؟ أى حفرة غرارة هذه !
٢٠٠ إن فتحها مغطاة بالعوسج الوحشي الملتف ؛
وعلى أوراقه قطرات من دم حديث السفك .
إنها لا تزال ندية كندى الصبح المقطر على الزهر .
إنها لتبدو لي موضعاً مشؤوماً .

تكلم يا أخي ، هل أصبت في سقطتك ؟
٢٠٥ مارتيوس : آه يا أخي . أصبت بأشعب ما تحزن به العين القلب ،
هارون (عل حدة) : سأحضر الملك فيجدهما هنا .
فيتبادر إلى ذهنه مما يرى
أنهما هما اللذان قتلوا أخاه .

(يخرج)

مارتيوس : لم لا تخلصني وتساعدني على الخروج ،
من هذه الحفرة النجسة المملوطة بالدماء . ٢١٠

(١) هذا البيت وما بعده من هذا الجزء من المنظر ، ضيف كما يرى ييلدون ،
فتصرفات كوييتوس ومارتيوس لا تليق بابنين من أبناء تيتوس ، ولا يمكن تفسير هذه التصرفات
إلا باقتراض أنها تحت تأثير عقار أو سجن . وكان يجب أن يوضح ذلك .

كوينتوس : لقد اجتاح قلبي خوف مجهول ،
وتدفق على مفاصلي المرتعشة عرق بارد ؛
إن قلبي ليتوقع أكثر مما يمكن أن ترى العين .

مارتيوس : صدق حدس قلبك ، وإليك الدليل !
انظر أنت وهارون ، انظرا في هذه الحفرة ،
٢١٥ إنه لمنظر بشع من الموت والدماء ،

كوينتوس : لقد ذهب هارون وقلبي المتوجس
لا يريد لعيني أن ترى
ما أرجف خوفاً من مجرد توقعه .
آه ، قل لي من هو ، فما كنت قبل الآن
٢٢٠ طفلاً يخشى ما يبجله .

مارتيوس : إنه السيد باسيانوس يرقد قتيلًا هنا غارقاً في دمه
وكله كومة واحدة وكأنه الحمل الذبيح ،
ملقى في جوف هذه الحفرة البغيضة المظلمة المروية
بالدم .

٢٢٥ كوينتوس : وكيف عرفته إذا كانت مظلمة ؟
مارتيوس : إنه يلبس في أصبعه الدامي ،
خاتماً ثميناً ينير الحفرة كلها ؛
وكانه السراج الذي ينير نصباً للناس

- وقد تألقت ضوءه فأضاء خد الميت
المعفر بالتراب . وأظهر جوف الحفرة العابس الوعر ٢٣٠
كما طلع القمر شاحباً على جثة بيراموس ^(١)
حيث رقد غارقاً في دمه الطاهر ،
آه يا أخى ، أعنى بيدك الواهنة ،
فلئن يكن الخوف أذهلك كما أذهلنى
فأعنى على الخروج من هذه الهاوية التى تودى بكل
من يقع فيها ؛ ٢٣٥
لأنها لبغيضة حتى لكانها مدخل نهر كوكيتوس ^(٢)
على باب الجحيم حين يلفه الضباب .
كوكيتوس : امدد إلى يدك فيما أن أساعدك على الخروج ،
إذا ما عجزت عن إسداء هذه اليد إليك ،
فستجذبني أنت وبيتلغنى القاع ، ٢٤٠
قاع هذه الحفرة العميق التى أصبحت قبر باسيانوس
المسكين .

(١) بيراموس : شاب بائس قتل نفسه لأنه اعتقد أن خطيئته «تيسى» قد اقترستها
لبؤة . فلما عرفت الخطيئة بموته قتلت نفسها حل جثته .
(٢) كوكيتوس : نهر من الأنهار الستة التى تجرى فى الجحيم ويطلق الاسم على
الجحيم بعامية .

٨٣

٢٢

أنا عاجز عن جذبك لأرفعك إلى الحافة .

مارتيوس : وأنا عاجز عن الصعود ، إذا لم تعني .
كوييتوس : هات يدك إذن مرة أخرى ، فلن أدعها تفلت من
جديد

٢٤٥

حتى تصعد إلى هنا أو أسقط أنا .
فلماذا لم تستطع أن تأتي إلى فيني آت إليك
(يقع في الحفرة)

(يدخل هارون معه ساترنيوس)

ساترنيوس : هلم معي لأرى ما شأن هذه الحفرة ،

ومن هذا الذي وثب إليها فهوى فيها .

من أنت يا هذا الذي هوى الآن

في هذه الثغرة المفتوحة في الأرض ؟

٢٥٠

مارتيوس : هذا أنا التعس ، ابن أندرونيكوس الكهل ،

جئني إلى هنا في ساعة مشؤمة ،

لأجد باسيانوس أخاك ، ميتاً .

ساترنيوس : أخى مات ! إنك لا شك تهزل .

إنه هو وزوجه كلاهما في البيت الصغير ،

٢٥٥

في أقص شمال ميدان الصيد هذا الجميل

ولما تمض ساعة بعد منذ تركتهما هناك .

مارتيوس : إننا لا ندرى أين تركته حياً ،
ولكن واحسرتاه قضى الأمر ، وما هو ذا وجدناه
هنا ميتاً

(تدخل تامورا معها حاشيتها ثم تيتوس أندرونيكوس ولوكيوس)

٢٦٠ تامورا : أين مولاي الملك ؟

ساترنيوس : هنا يا تامورا ، لكنني حزين وحزني قاتل !

تامورا : أين أخوك باسيانوس ؟

ساترنيوس : إنك تسبرين بهذا أعماق جراحي ،

فباسيانوس المسكين يرقد قتيلاً هنا

٢٦٥ تامورا : إذن لقد تأخرت أنا في إحضار هذه الرسالة المفجعة .

(تناوله الخطاب)

إن فيها خطة تنفيذ هذه الفاجعة المفاجئة .

لكم ذا أعجب كيف يُخفى وجه الإنسان .

مثل هذه الوحشية القاتلة وراء الابتسامات العذبة

ساترنيوس (يقرأ) : إذا أخطأنا التوفيق ولم يتح لنا أن نقابله

ونحن نعى باسيانوس أيها الصياد العزيز ،

٢٧٠

فافعل ما تستطيع لتحفر القبر له .

إنك ولا شك تفهم ما نعى ! ابحث عن مكافأتك .

بين أشواك القريس (١) ، تحت اليلساة المشؤومة
التي تظلل فتحة الحفرة ،

حيث سيدفن باسيانوس كما اتفقنا .

٢٧٥

نفذ هذا تكسب صداقتنا الأبدية .

آه يا تامورا ، أسمعت بمثل هذا من قبل !

هذه هي الحفرة ، وتلك هي اليلساة ،

انظروا أيها القوم ، فقد تعثرون على الصياد ،

الذي كان عليه أن يقتل باسيانوس هنا .

٢٨٠

هارون : مولاي الكريم ، وهذا كيس الذهب !

ساترلينوس (لتيوس) : إنهما اثنان من جرائك ، كلبان من النوع

الوحشي الدموي

سلبا أخى حياته هنا .

ارفعوهما أيها القوم من الحفرة إلى السجن ،

ودعوهم يقيما هناك حتى نبتكر لهما

٢٨٥

صنفاً من العذاب الأليم لم يسمع به من قبل .

تامورا : ماذا ؟ أهما في الحفرة ، يا للغرابة .

(١) القريس : نبات ينبت بكثرة في الأراضي البور ويغطي غصونه شعر

شائك .

ألا ما أسهل أن تكتشف الجرائم .

تيتوس : إنى أركع على ركبتي الضعيفتين ، أيها الإمبراطور العظيم ،

وأسألك بدموع ، ليس هيناً على ذرفها . أن تحقق

لى رجاء :

٢٩٠

لو أن الجريمة الوحشية التي ارتكبتها ولدای اللعينان ،

نعم لعينان ، إذا ثبتت عليهما هذه الجريمة . . .

ساترنيوس : إذا ثبتت عليهما ؟ ! إن الأمر لبين كما ترى !

من الذى وجد الرسالة ؟ أنت يا تامورا ؟

٢٩٠ تامورا : قد حملها إلى أندرونيكوس نفسه .

تيتوس : نعم فعلت يا مولاي ، ولكن دعنى أكن كفيلا

لهما ،

فأنا أقسم بقبر آبائى المقدس ،

أن يكونا دائماً رهن مشيئة جلالتك ،

حتى يدفعنا عن نفسيهما بحياتهما ما حولهما من

شكوك .

٣٠٠ ساترنيوس : لا ، لن تكفلهما . وهلم اتبعنى ،

فليحضر بعضكم القتل ، وبعضكم القتلة ،

ولا تسمحا لهما بأن ينطقا بكلمة ، فالجريمة بينة .

٨٧

ووالله لو أن هناك نهاية شرّاً من الموت لتفقدناها
فيهما .

: سأرجو الملك يا أندرونيكوس ،

فلا تخش على ولدك فسيجدان لأنفسهما مخرجاً

: لوكيوس ! تعال ! تعال لا تقف لتحديثهما .

(يخرجون)

٣٢

تامورا

٣٠٥

تيتوس

الفصل الثاني

المنظر الرابع

جانب آخر من الغابة - ديمتريوس وشيرون ومهما لافينيا وقد اغتصبت وقطعت
يداها وبتر لسانها

ديمتريوس : هيا اذهبي الآن . فإن استطاع لسانك النطق ،
فاحكي عن بتر لسانك وعن اغتصبك
شيرون : أو فاكثبي ما يحول مخاطرك وافصحى عن معانيك ،
هذا إذا أمكنتك بقايا ذراعيك من أن تقوى بدور
الكاتبة .

ديمتريوس : انظر كيف تنبس بالرموز والإشارات .
شيرون : هلم عودي إلى البيت فاطلبي ماء معطراً لتغسلي
يديك .

ديمتريوس : لا لسان لها لتطلب ولا يدين فتغسلهما .
دعنا إذن نتركها للسير في نزهاتها الصامتة .
شيرون : لو أنني مكانها لشتقت نفسي .
١٠ ديمتريوس : إذا كانت لك يدان تعينانك على عقد الحبل

(يخرج ديمتريوس وشيرون ويدخل ماركوس)
ماركوس : من هذه ؟ أهى ابنة أخى التى تعدو هكذا سريعاً ؟ !

كلمة يا ابنة الأخ ؟ أين زوجك ؟
إذا كنت أحلم ، فإنني أهب ثروتي كلها لمن يوقظني
من مثل هذا الحلم .
وإن كنت يقظاً ، فهل من شهاب يسقط على
فيصعقتي ،

فأرقد بفضلته في سبات أبدي .
يا ابنة الأخ الجميلة . تكلمي ، أى يد باطشة
غليظة ،

بترت وقطعت ، وجردت جسمك وعثرته
من غصنيه وهما زيتته الحلوة ،
لكم تاق الملوك إلى أن يناموا في ظلهما الظليل
فلم يظفر منهم أحد بهذه السعادة الكبرى
التي يناها من يظفر ببعض حبك ، لم لا تكلميني ؟
وأأسف ! إنه لنهر قرمزي من الدم الدافئ الدافئ
وكأنه نافورة فوارة تحركها الريح ،
يتجمع ماؤه ويفيض بين شفتيك القرمزيتين
غادياً رائحاً مع أنفاسك الندية الحلوة .

ولكن ، لا بد أن تيربوس (١) آخر ، قد اعتدى عليك

وبتر لسانك حتى لا تكشف عنه .

آه ! إنك لتديرين وجهك خجلاً !

وبالرغم من كل ما فقدت من دم ،

حتى لكأنه تدفق من صنوبر له شعب ثلاث ،

فلا يزال خذاك أحمرين كوجه الشمس (٢)

وقد أخجلها لقاء سحابة .

أتكلم عنك ؟ أقول هذا ما حدث ؟

آه لو عرفت ما في قلبك ؟ آه لو عرفت هذا الوحش

لأنطلقت في سبابه حتى أريح نفسي .

إن الأسى المكتوم لشبيهه بالتنور المغلق :

يحرق القلب ويحمله رماداً حيث هو .

إن فيلوميل الحميلة لم تفقد إلا لسانها ،

فنسجت ما يدور بخلدتها نسجاً متقناً دقيقاً وعرضته .

(١) انظر ص ٣٠٢ هامش (١)

(٢) وجه الشمس : في الأصل وجه تيتان ، وهو إله الشمس القديم وأحد العمالق الذين حاربوا جوبيتر . واحمرار وجه الشمس خلال السحب أو الضباب صورة مفتعلة - كما يرى بيلدون - لوجه لافينيا وقد أخجلها ما هي فيه من خزي يعبر عنه ماركوس بالسحابة .

ولكنك حرمت يا ابنة الأخ الحميلة حتى هذه الوسيلة .

٤٠

لقد التقيت بتيريوس أكثر خبثاً ،

فبتر تلك الأصابع الدقيقة ،

التي كانت تستطيع أن تنسج خيراً من نسج فيلوميل .

آه ، لو أن الوحش رأى يديك البيضاء بياض الزنبق ،

وهي تهتز على القيثارة كأنها أوراق شجر الحور ،

٤٥

فتسعد الأوتار الحريرية بتقيلها ،

إذن لعجز عن أن يمسها بأذى وإن كلفه العجز

حياته .

آه لو أنه سمع النغم السماوى

الذى يخرج من لسانك الحلوى

لألقى إذن بسلاحه ونام .

٥٠

كما نام سربيروس (١) كلب الجحيم عند قدمي

أورفيوس شاعر تيراس ،

هلم . نذهب لنحمل معنا لأبيك العمى ،

فمثل هذا المنظر حرى بأن يعمى عيون الأب .

(١) سربيروس : كلب له ثلاثة رؤوس يحرس أبواب الجحيم وقد غنى له أورفيوس

شاعر تيراس فنام الكلب ودخل أورفيوس إلى الجحيم .

٢ ف

٩٢

إن أمطار العاصفة ساعة تُغرق المروج النضرة ،
فما بال الدموع في عيون أليك تهطل شهوراً كاملة ؟
لا تنفري . تعالى فإننا سنتوح معك ،
آه ليت النواح يخفف من شقائقك .
(مخربان)

..



Organization of the Alexandria Library (OAL)
Bibliothèque d'Alexandrie
الفصل الأول

المنظر الأول

شارع في روما

تدخل جماعة من أعضاء مجلس الشيوخ وزعماء الشعب ورجال القضاء وبصحبهم
ماوتويوس وكوينتوس في الأغلال يقادان إلى موضع تنفيذ الحكم ويتقدم الموكب تيتوس وهو
يبحر بالفراة .

تيتوس : أيها الآباء الموقرون استمعوا إلى ، أيها الزعماء النبلاء
مهلا ،

أستحلفكم بحياتي التي قضيت شبابها .
في الحروب الخطرة وأنتم ناثمون آمنون .

وأستحلفكم بكل ما سفكت من دم في معارك روما
العظيمة ،

وبكل هذه الليالي القارسة البرد التي أمضيها حارساً
مدافعاً ،

وبكل هذه الدموع المريرة التي ترونها الآن ،
وهي تملأ تجاعيد الشيخوخة في خدودي ،
ارحموا ولديّ المحكوم عليهما ،

٣ ف

٩٤

فنفسهما لم تبلغ من الشر ما نسب إليها .
 لأننى لم أهلك على اثنين وعشرين ولدناً من أبنائى ،
 لأنهم ماتوا فى ساحة الشرف المحيطة ،
 أما هذان ، هذان أيها الزعماء ، فإنى من أجلهما
 أخط على هذا التراب ،

(يلقى بنفسه على الأرض)

بدموع روى الحزينة ، وأرسم حسرة قلبي العميقة
 دعوا دموعى تشف غلة الأرض الصادية ،
 لأنها ستستحي وتختجل من دم ولدى الطاهر

١٥

(يخرج الشيوخ والزعماء والآخرون والسجينان معهم)
 أيها الأرض ، سأغمرك بالمزيد من الدمع
 يهطل مطراً من هذين الوعاءين العتيقين
 أوفر مما يسكبه الربيع الشاب بشأبيه كلها ،
 وفي الصيف المحدث ، سأظل أمطر عليك دمعى
 وفي الشتاء سأذيب عنك الحليد بدمعى الحار ،
 فأستبقي الربيع ريان خالداً على وجهك .
 كما تأبين أن تُنسى بدم ولدى العزيزين

٢٠

(يدخل لوكيوس شاهراً سيفه)

أيها الزعماء المبعجلون ، أيها الشيوخ الرحماء

فكوا لإسار ولدى وانقضوا حكم الإعدام .
ودعوني أقل - وأنا الذى لم ييك أبداً -
إن دموعى الآن أصبحت هى اللسان الذى أتحدث
به وحده (١) .

- لوكيوس : أبى النيل ، عبثاً تبكى .
فالزعماء لا يسمعونك وليس هنا أحد .
إنك تشكو همومك للحجر .
- ٣٠ تيتوس : دعنى يا لوكيوس أضرع من أجل أخويك :
أيها الرفاق الموقرون ، أستحلفكم من جديد .
- لوكيوس : سيدى الكريم ، لا زعيم هنا ليسمعك تتكلم .
- تيتوس : هذا لا يهم يا فتى ، إنهم لو سمعوني
ما التفتوا إلى ؛ ولو التفتوا إلى
لما أخذتهم على شفقة ، ولكنى مضطر أن أضرع : ٣٥

(١) هذا البيت وما بعده : يرى بيلدون أن هذا الحديث الطويل الغريب تصوير لتيتوس وهو فى حال بين الجنون والعقل . وهى حال برع شكسبير فى وصفها فى مسرحياته المتأخرة . ويلفت بيلدون النظر كذلك إلى ما فى الموقف من تهكم شكسبيرى أصيل . فتيتوس الذى يضرع الآن من أجل حياة ولديه هو الذى قتل ابنه وهو الذى رفض غرابة تامورا لأنها . وكذلك حديث تيتوس للزعماء ، فهو يضرع إليهم فلا يلتفتون إليه وهم الذين كانوا يريدون منحه السلطان المطلق . ولشكسبير قدرة خاصة على إبراز ما فى سيرة القدر من تهكم وما فى أهواء الناس من تقلب .

إليهم دون جدوى .
 لذلك ، سأشكو هموي إلى الحجر ،
 فالحجر ، وإن لم يرق لشكائي ،
 خير من الزعماء ، على نحو ما ،
 إنه لن يقطع على الشكوى ،
 بل يظل ، إذا بكيت ، متواضعاً عند قدمي ،
 يتلقى دموعي وكأنه يبكي معي .
 ولو ألبس هذا الحجر ثياباً وقورة ،
 لما استطاعت روما أن تخرج إلى الوجود زعيماً خيراً منه .
 إن الحجر لين كالشمع ، والزعماء أقسى من الحجر
 الصلبد .

٤٠

٤٥

إن الحجر صامت لا يسيء إلى أحد ،
 والزعماء بالسنتهم يقضون على الناس بالموت .

(ينهمس)

ولكن فيم وقوفك وسيفك مسلول ؟

: حاولت إنقاذ أخوي من الموت ،

فحكم القضاة على ،

بعقوبة النفي المؤبد .

: أيها السعيد ، لقد أحسنوا إليك صنعاً ،

لوكيوس

٥٠

تيتوس

نعم ، أيها الأحق ، لوكيوس ، أأست ترى ،
كيف أن روما أصبحت غاباً تغص بالتمور ،
والتمور لا بد لها من صيد ، وليس في روما كلها
ما يصاد

إلا أنا وذوي . كم أنت سعيد إذن ،
بأن تنني بعيداً عن هذه الضواري !
ولكن من هذه القادمة مع أختينا ماركوس .
(يدخل ماركوس ولافينا)

تيتوس ! هي عيونك الواهية للبكاء ،
وإلا فأعد قلبك النبل ليتحطم
إنني أحمل إليك - في شيخوختك - حزناً سيقضي
عليك .

تيتوس : أو يقضي عليّ حقاً ؟ دعني إذن أراه .

ماركوس : هذه كانت ابنتك .

تيتوس : نعم ، يا ماركوس ، وما تزال .

لوكيوس : ويلي ! إن هذا يقتلني !

تيتوس : أيها الصبي الخائر القلب ، انفض وانظر إليها ،

لافينيا ، ابنتي ! تكلمي ! أي يد لعينة ،

جعلت أباك يراك بلا ذراعين .

ف ٣

٩٨

أى أحرق أضاف إلى البحر الزاخر بالألم فيض ألم
جديد ،

أو حمل لطرادة المشتعلة المتوهجة شعلة من النار ؟
قد فاض حزنى قبل أن تصل إلى .

٧٠

وأصبح الآن كالنيل يفيض ولا يكثر بسدود
تعرضه .

أعطني سيفاً ، فسأبتر ذراعى أيضاً .

لقد حاربنا من أجل روما دون طائل ،
وصاننا إلى حياتى حتى أعيش لأرى هذا الويل .

٧٥

كم رفعتهما في دعاء لم يستجب ؛
ولقد استخدمتهما طويلاً لغرض لا فائدة منه ؛
وكل ما أطلبه إليهما الآن ،

هو أن تعيننى إحداهما على أن أقطع الأخرى .

إنه لمن الخير ، يا لافينيا ، ألا يكون لك ذراعان .

فلا جدوى من كل ما تأتى به الذراعان من أجل

روما .

٨٠

: أختى الوديدة ، انطقى ، من ذا الذى شوهدك ؟

لوكيوس

: آه ، إن هذه الأداة اللطيفة ، أداة تعبيرها

ماركوس

التي كانت تشيع أفكارها في بلاغة أسرة

قد انتزعت من جوف القفص الجميل ،
حيث كانت تنشد ، كطائر غريد عذب ،
نغماتها الشجية المتنوعة لتأسر بها كل أذن وتسحرها .

لوكيوس : أجب أنت إذن عنها ، من فعل بها هذا ؟
ماركوس : وجدتها هكذا ! شاردة في البستان ،
تحاول أن تستخفي كظبية ،

أصابها جرح لا يبرأ .
تيتوس : كانت ظيبي الغالية ، والذي أصابها
قد نال مني أكثر مما أرداني بإصابته تلك قتيلا .
فأنا الآن ، كالواقف على صخرة ،

وقد أحاط به بحر واسع ،
فراح يرقب المد المتزايد يعلو موجة فوجة ،
متوقعا كل حين موجة خبيثة ،
تبتلع في جوفها المترع الملح .

من هذا الطريق ، ذهب ولدای الشقيان إلى الموت ،
وابنى الآخر هنا ، منى من وطنه ،
وهذا أخى يبكى آلامى ،
غير أن اللطمة الكبرى التى أصابت روحى ،
إنما هي لافينيا العزيزة ، فهى أعز على من روحى .

٣ ف

١٠٠

ولو أننى رأيت صورتك يا لافينيا وأنت على هذه الحال ،

لجننت ، فماذا أنا فاعل الآن ،

وأنا أراك على هذه الحال بلحملك ودمك ؟

١٠٥

ليست لك يدان تمسحان بهما دموعك ،

وليس لك لسان تخبرينى به عن شوهك .

أما زوجك فقد مات واتهم بموته

أخواك ، فحكم عليهما بالموت .

انظر يا ماركوس ، وانظر إليها يا ولدى لوكيوس !

١١٠

لم أكد أذكر اسم أخويها حتى تجمعت الدموع

وسقطت على خديها ، وكأنها قطرات الندى ،

على زنبقة مقتطفة أوشكت أن تدبل .

ماركوس : ربما كان بكاءهما لأنهما قتلا زوجها ،

بل ربما بكى لأنها تعلم أنهما بريثان .

١١٥

تيتوس : لو أنهما قتلا زوجك ، فأظهرى لنا الفرع ،

فقد انتقم لك منهما القانون .

كلا ، كلا ، لن يقدمنا على مثل هذه الفعلة الشنعاء ،

وحزن أخيهما يشهد بهذا (١) .

(١) هذه أول مرة تعرف فيها لافينيا أن أخويها قد اتها بقتل زوجها. ولا شك أنها

تظهر حزناً شديداً لما عرفت وتحاول جاهدة أن تنفى التهمة .

١٠١

لا فينيا الوديعة دعيني أقبل شفتيك ،
أو اصطنعي إشارة أعرف منها كيف أخفف عنك ،
أنجتمع : عمك الطيب ، وأخوك لوكيوس ،
وأنا ، وأنت ، فنجلس حول نافورة ،
نتطلع إلى أغوارها لنرى خدودنا ،
وكيف تفرحت ، فكأنها مروج لم يتم جفافها
بعد أن كساها الفيضان غطاء من الطين ؟
أم نظل نحدق طويلاً في النافورة
حتى يفقد الماء الصافي طعمه العذب ،
وقد أحلناه بدموعنا الساخنة بركة ملحة ؟
أم نقطع أيدينا كما قطعت يداك ؟
أم نقضم ألسنتنا ، ونظل خرساً
حتى تنقضي البقية الباقية من أيامنا التسعة ؟
ماذا نفعل ؟ هلم وما زالت لنا ألسنتنا
نتفاهم بها كيف ندبر أمر شقاء جديد ننزله بأنفسنا
فنثير منا العجب في غدا القريب .
: أبي العزيز ، كفكف دموعك فحزنك
كما ترى ، يجعل أختي البائسة تبكي وتنتحب .
: صبراً ، يا ابنة الأخ جفف دموعك ، باتيتوس الطيب .

١٢

١٢٠

١٢٥

١٣٠

١٣٥

لوكيوس

ماركوس

ف ٣

١٠٢

تيتوس : آه يا ماركوس ، يا ماركوس ، يا أخى ، إني لأعلم
كل العلم

أنه لم تعد لمندليك طاقة على أن يشرب قطرة من دموى
فقد شبعته بللا بدموعك أيها المسكين .

لوكيوس

: لافينيا : سأسمح لك بخدودك .

تيتوس : انظر يا ماركوس ، انظر ، إني أفهم إشارتها ،
لو أن لها لساناً ، ل قالت الآن
لأخيها . ما قلته لك .

١٤٥

إن منديله قد أشيع بللا بدموعه الصادقة ،
فما يستطيع لخدودها الحزينة تجفيفاً .
يا لهذا التآسى بيننا !

إنه بعيد عن أن يجدى بعد الحميم عن الجنة .

(يدخل هارون)

١٥٠ هارون : تيتوس أندرونيكوس ، إن مولاي الإمبراطور

يبحث إليك بهذه الرسالة : إذا كنت تحب ولدك ،
فدع ماركوس ، أو لوكيوس ، أو أنت يا تيتوس
الشيخ ،

أى واحد منكم فليبادر بقطع يده
ويرسلها للملك . وفى مقابل هذه اليد

١٠٣

١٢

يرد الملك إليك ولديك حين ،

١٥٥

وسيعد هذا تكفيراً كافياً عن خطيئتهما .

تيتوس : ما أرحم الإمبراطور ، وما أكرمك يا هارون ،

وهل غرد الغراب هكذا يوماً كأنه قبرة

تحمل إلى تباشير الصباح الحلوة كما تحملها أنت؟

١٦٠

سأرسل للإمبراطور يدى وأنا راض كل الرضى ،

فهل لك يا هارون ، يا أيها الرجل الصالح ، أن

تساعدنى على بترها .

لوكيوس

: تمهل يا أبى ، إن يدك النبيلة هذه

التي طالما أطاحت بكثيرين من أعدائنا

لن ترسل ، إن يدى أنا تفى بالطلب ،

وشبابى يَحتمل التضحية بدمه أكثر منك ،

١٦٥

وبهذا لن تفقد حياة أخوى إلا يدى .

: أى يد من أيديكما لم تحم روما ،

ماركوس

ولم تشرع سلاح الحرب الدامى

لتنزل به الدمار على رؤوس الأعداء ؟

آه ، ليس بين أيديكما يد لم تأت المجيد من الفعال ،

١٧٠

أما يدى فلم تك قط لإعاطفة ، فدعونى أستخدمها

فى فداء أولاد أخى من الموت ،

ف ٣

١٠٤

فأحس بذلك أني حين استبقيتها قد ادخرتها لغرض
مجيد .

هارون : لا ! هلم اتفقوا ، أيكم ستذهب يده إلى الإمبراطور ؟
فلأني لأخشى أن يقتلا قبل أن يجيئهما العفو .
ماركوس : سنرسل يدي !

١٧٥

لوكيوس : لا وحق السماء ، لن ترسل !
تيتوس : كفى خلافاً أيها السادة ، فقتل هذا العشب الدابل ،
أخرى به أن يجتث ، فلتكن يدي إذن !

لوكيوس : أبي العزيز ، لو أردت أن يصدق الناس أنني ابتك ،
فدعني أخلص أخوي من الموت .

١٨٠

ماركوس : إني أستحلفك بأبينا وبعطف أمنا علينا
أن تدعني أبرهن لك على حب أخيك
تيتوس : اتفقاً إذن فيما بينكما ، فلن أقدم يدي .

١٨٥ : سأتمس خنجراً .

ماركوس : ولكني أنا الذي سيستخدمه

(يخرجان)

تيتوس : هارون ، اقرب مني ، فسأخذهما ؛

أعزني يدك لتعاونني فسأعطيك يدي أنا .

هارون (على حدة) : إن كان هذا هو الخلداع فسحقاً له ؛ سأكون شريفاً ،

١٠٥

١٢

ولن أخدع الناس ما حييت بهذا النوع من الخداع ،
ولكنني سأخدعك يا هذا على نحو آخر ،
ولن يمضي نصف ساعة إلا وتعرف أنت نفسك
بالفرق بين خداعي وخداعك ،

١٩٠

تيتوس : كفّا عن خلافكما الآن ، إن ما يجب أن يكون
قد كان ،

أى هارون الصالح ، أعط جلالته يدى ،
وقل له إنها يدٌ طالما حمته

١٩٥

من ألف خطر ، واسأله أن يدفنها كما يليق بها .
إنها تستحق الكثير ، فلا تحزمها هذا على الأقل
أما ولدى . فقل له إني لأرى أنهما

جواهرتان ثميتتان قد اشترينا بثمان يسير ،

ولكنه مع ذلك ثمن غال ، لأننى اشتريت به ما
ما لا يملكه غيرى ،

هارون : ها أنا ذا ذاهب يا أندرونيكوس ، فتوقع فى مقابل
يدك ،

٢٠٠

أن يكون ولدك معك عن قريب .

(على حدة) أعنى رأسيهما ، يا له من شر

ف ٢

١٠٦

يملاؤنى ، مجرد التفكير فى الإقدام عليه ، زهواً
وابتهاجاً .

إنى أترك الخير للحمقى ، وأدع السعى فى اكتساب
رضى الناس للبيض ،
فما يريد هارون إلا نفساً سوداء كوجهه .

٢٠٥

(يخرج)

: آه إنى لأرفع يدى الوحيدة ضارعة إلى السماء ،
وأجشو بجسمى كالخطام الخائر على الأرض .

تيتوس

فلماذا كانت هناك قوة تعطف على دموع البائسين ،
فلانى أناديها . (إلى لانييا) ماذا ؟ أتريدى أن
تركعى معى ؟ !

افعلى إذن ! أيتها الحبيبة العزيزة فلان لم تسمع السماء
صلواتنا ،

٢١٠

فسيكفهر الجو من أنفاس تهداتنا ،
وستغشى الشمس غيرةً . من ضباب آهاتنا كما
تغشاها السحب .

عندما تحتضن الشمس وهى تذوب من حرها .

: أخى تكلم كلاماً معقولاً رزيناً ،

ماركوس

ولا تلق بنفسك فى هذه المهاوى السحيقة من الحزن .

٢١٥

١٠٧

١٢

تيتوس : أوَ ليست أحزاني عميقة لا قرار لها ،

فليكن إذن عذابي مثلها لا قرار له !

ماركوس : ولكن ، تحكم في أحزانك بعقلك .

تيتوس : لو أن لهذه الأرزاء أسباباً تعقل

لا اتخذت القيود التي أقيد بها حزني ، وأحدّ منه . ٢٢٠

- إن السماء إذا بكّت غرقت الأرض من فيضائها ،

وإذا عصفت الريح على البحر . ازبد البحر في

جنون يتزايد

وكأنما هو يهدد السماء بصفحته الكبيرة المنتفخة

المتعالية .

أوَ تريد بعد ذلك أن تعرف سبباً لهذا الاضطراب ؟

إنّى أنا البحر . فأنصت . كيف تعصف الرياح

بأنفاس زفراتها الحارة (١) ٢٢٥

إنّها السماء الباكية . وأنا الأرض ،

ولا بد لمياه بحري من أن تحركها زفراتها !

(١) يبدو التكلف والتعقيد في مواصلة استخراج المعاني من التشبيه الأول . وقد يحس

القارئ الحديث أن في هذا مخالفة بينة لذوقه ، غير أن هذه الطريقة كانت شائعة في العصر

الإليزابيثي . وهذا الأسلوب كان شائعاً لدى شكسبير وغيره من شعراء العصر (بيلدون) .

٣ ف

١٠٨

ولا بد لدموعها وهي تنسكب هطالة غزيرة على أرضي

من أن تجعل منها طوفاناً ، يطغى على كل شيء ،
ويغرق . . .

تسألني لماذا لا تستطيع أحشائي أن تخفى ويلاتي ،
ذلك أني كالسكران لا بد لي أن أخرج ما في جوفي^(١) .

٢٣٠

سامحني إذن ، فلا حرج على الخاسرين
من أن يفرجوا عما في نفوسهم بكلام ممرور .
(يدخل رسول يحمل رأسين ويداً)

الرسول

يا أندرونيكوس المبهجل ، شر ما جوزيت
على هذه اليد الكريمة التي أرسلتها إلى الإمبراطور .
إليك رأسي ابنيك النبيلين ،

٢٣٥

وتلك يدك قد ردت إليك مهانة بعد أن سخروا منها ؛
فلقد اتخذوا من رزلك تسلية ؛ ومن تفرق أطرافك
هزاة ،

فواحسرتا إن مجرد تفكيرى في آلامك يملؤني حزناً
أجل من حزني إذا ما تدكرت وفاة أبي .

٢٤٠

(١) الصورة غليظة خافية ، وكان المظنون أن يستبعدا شكسبير لو أنه راجع
المسرحية ، غير أن بقاءها أدل على خشونة ذوق العصر وجفوته (بيلدون) .

١٠٩

ماركوس : ألا فلتخمد الآن نار بركان « إتنا »^(١) المشتعلة في صقلية ،

وليصبح قلبي هو الجحيم الملهب الذي لا ينطفئ أبداً ،

إن احتمال هذه الكوارث لفوق طاقة البشر .

فلقد يخفف عن الباكين مشاركة القوم لهم في البكاء ،

أما السخرية من أرزائهم فهي الموت المضاعف .

لوكيوس : آه : ما لهذا المنظر البشع يدمى الجرح العميق ويعمقه ،

ومع هذا فلا تنساب الحياة البغيضة مع دماائه ،

فتزائل الجسد !

(يخرج)

يا للموت الذي جعل الحياة تحمل اسمه

حين لم يبق من الحياة سوى ترجيع النفس .

(لأفينيا تقبل تيتوس)

ماركوس : واحسرتنا على هذا القلب المسكين ، إنها لقبة لا عزاء

فيها .

كأنها ماء متجمد أمام ثعبان عضه الجوع .

تيتوس : أما لهذا الليل البهيم الخفيف من آخر ،

(١) بركان إتنا : شمال صقلية الشرق ، يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٣١٣ متراً وتتخذ

الأساطير مكاناً « لفولكان » وقد اشتهر البركان إلى جانب ذلك بانفجاراته المتتعة الفظيمة .

ف ٢

١١٠

ماركوس : ودع هذه الأوهام الخادعة ، واستقبل الموت
يا أندرونيكوس ،

إنك لست غافياً ، انظر . هذان رأسا ولدك ،

وهذه يدك المحاهدة ، وهذه ابنتك الشوهاء .

٢٥٥

وهذا ابنك الآخر محكوم عليه بالنفى . إن هذا

المنظر البشع

خليق أن يصعقك ، فإذا أنت مصفر قد هرب دمك ،

أما أنا أخوك

فإنى أشبه ما أكون بتمثال من حجر بارد

لا يشعر .

آه ، لن أطلبك بعد الآن بالتعقل والقصد في

أحزانك ،

هلم انتزع شعرك الأشيب الفضي ، شعرة شعرة ،

ويدك هذه الأخرى ،

هلم فاقرضها بأسنانك ، وليكن هذا المنظر المريع

٢٦٠

آخر ما نغلق عليه أبصارنا الشقية .

لقد حان الوقت المؤذن بالعاصفة العارمة ، فلم أنت

ساكن !

- ٢٦٥ تيتوس : ها ، ها ، ها (١) !
- ٢٦٥ ماركوس : لم تضحك وليس هذا أوان ضحكك ؟
- تيتوس : لم ! لأنه لم تعد في عيني دمة واحدة فأسكبها .
- إن هذا الحزن عدو مغتصب غاشم ،
أخشى أن يتقضّ على عيوني الدامة
فيفرض عليها ضريبة من الدمع تعميها .
- ٢٧٠ أين الطريق لأستخفي - منه في كهف الانتقام ؟
- هذان الرأسان ، لكأنهما يتحدثانني
ويهددانني بأنني لن أظفر بالحنة ،
حتى تترد هذه الشرور مرة أخرى ،
إلى نحور مرتكبيها .
- ٢٧٥ " هلم ، فلأنظر الآن فيما على من تدبير أمر .
التفوا حولي أيها البائسون .
حتى أتجه إلى كل واحد منكم ،
وأقسم له بحياتي أن أنتقم له لما أصابنا فيه ؟

(١) ضحكات تيتوس مسرحية ، فهي تغير مفاجئ في الحال الشمورية ،
ونقطة بدء جديدة في أحداث القصة . إن حزن تيتوس الشديد يتحول فجأة إلى شهوة عارمة
لانتقام ويبدو أنه وضع في هذه اللحظة خطة الانتقام التي تقوم عليها بقية المسرحية ، وبعدها
تعاوده قدرته على القيادة فيتزعم الجميع من جديد ويرسل لوكيوس إلى بلاد القوط ليجمع جيشاً .
(بيلدون)

٣ ف

١١٢١

والآن ، لقد أقسمنا القسم . فهل يا أخى خذ رأساً

وسأحمل الأخرى فى يدى هذه ،

٢٨٠

وأنت يا لافينيا ، ستشتركين فى الأمر .

احملى يدى يا بنيتى الحلوة بين أسنانك .

أما أنت يا ولدى فهل ابتعد عن ناظرى ،

إنك منى ، فيجب ألا تبقى .

انطلق إلى بلاد القوط واجمع هناك جيشاً .

٢٨٥

وإذا كنت تحبى حقاً ، كما أظنك تفعل ،

فهل نبادل قبل الوداع ولنفترق ، فإن لدينا عملاً

كثيراً .

(يخرج تيموس وماركوس ولافينيا)

لوكيوس : وداعاً يا أندرونيكوس ، يا أبى النبيل ،

إنك لأشقى رجل وجد فى روما ،

وأنت يا روما العظيمة ، وداعاً ، ولكن لا بد أن

يعود إليك لوكيوس ،

فلقد ترك لديك ودائع أعز عليه من الحياة (١) .

لافينيا ، وداعاً يا أختى الكريمة ،

آه . . لو تعودين كما كنت !

(١) معنى البيت غامض ، والترجمة تماشى تفسير بيلدون .

١١٣

١٢

واحسرتاه إن لوكيوس ولا فينيا كلاهما لا يعيش الآن ،
إلا في زوايا النسيان غارقين في الأحزان البغيضة ؛
ولئن عاش لوكيوس لينتقم لما أصابك ،
وليجعلن سانه رنينوس المتعجرف وإمبراطورته
يتسولان على الأبواب كما تسول «تاركوين»^(١)
ومليكته .

٢٩٥

إننى ذاهب الآن إلى أرض القوط أجمع قوة ،
لأنتقم بها من روما ومن ساترنيين .
(يخرج)

(١) Tarquin : ثامن ملوك روما ، اعتلى على سيدة رومانية هي لوكريس فأدت جريمته إلى سقوطه عن عرشه سنة ١٠٥ ق . م كما أدت إلى تأسيس الجمهورية الرومانية وقد كان من بين من تعاونوا على إسقاطه جونيوس برونس والإشارة إلى هذه الحادثة متكررة في المسرحية .

الفصل الثالث

المنظر الثاني

غرفة في دار تيتوس تبدو فيها مائدة ، يدخل تيتوس وماركوس ولافينيا وابن لوكيوس الصغير .

تيتوس : حسناً ، تفعلون ، اجلسوا الآن ، واحرصوا ألا تأكلوا ،

إلا بمقدار ما يحفظ علينا قوة

تمكنا من الانتقام لمصائبنا المريرة .

ماركوس ، احلل عقدة ذراعك التي عقدها الحزن

على صدرك .

فأنا وابنة أخيك كائنات تعيسان قد فقدنا الأذرع ،

فلا نستطيع ، وإن طغى علينا الحزن أضعافاً ، أن

نعب عنه مثلك

بالأذرع المطوية على الصدر ، إن يدي اليمنى هذه

المسكينة

لم تبق إلا لتستبد بصدري .

فإذا جن قلبي من الألم ،

وأخذ يضطرب في سجنه الأجوف من جسدي

ضربت صدري بقبضتي هكذا حتى يهدأ .

(مخاطباً لافينيا) أما أنت ، يا صورة الأسى التى لا تتكلم إلا رمزاً ،
إنك إذا اضطرب قلبك المسكين بوجيهه الحنون
الثائر

فإنك لن تستطيعى أن تضربه هكذا ليستكت .
الفحيه يا فتاتى بنار آهاتك ، واقتليه بحر أنينك ،
أو هاتى سكيناً صغيراً وضعيه بين أسنانك ،
وتعالى إلى أقرب ما تكونين من قلبك ، واقتحى فيه
ثغرة ،

حتى تجرى الدموع المسفوكه من عينيك المسكيتين
لتنصب فى هذا الوعاء حتى يترع ،
فتغرق نفسك الحزينة فيه فى بحر ملح م
الدموع .

ماركوس : يا أخى ، حسبك ، ولا تعلمها كيف تعتدى
على حياتها الضعيفة بيد آثمة .

تيتوس : ويحك هل أخذت تهذى من الحزن ؟

ما ينبغى أن يحزن أحد سواى يا ماركوس ،
أين هذه اليد المحرمة التى ستعدو بها على حياتها ؟
ما بالك تردد لنا كلمة اليد ؟

أو تريد أن تسأل إينياس^(١) أن يقص من جديد
كيف أحرقت طر وادة ، وكيف أصبح شقيماً ؟
كلا ، لا تعرض لهذا الموضوع ولا تعد للذكر
الأيدى ،

حتى لا نذكر أننا فقدناها . .

٣٠

ويلي ! كم أسوق الحديث كالحجائين !
أو يمكن أن ننسى أننا فقدنا أيدينا
إذا لم ينطق ماركوس بلفظة « الأيدى » ؟
هيا ، هيا نقبل على الطعام ، كلي هذا يا فتاتي
الوديعة ،

فليس لمثلك أن تشرب ، يا ماركوس ، اسمع ماتقول !
لأنني لأفهم رموز هذه الشهيدة جميعاً ،
لأنها تقول إنها لا تشرب غير الدموع
التي اعتصرت من حزنها لتمتزج على حدودها فتختمر ،
أيها الشاكية الصامتة ، سأتعلم كيف أقرأ أفكارك ،
وأجيد ترجمة إشاراتك الخرساء ،

٣٥

٤٠

(١) إينياس : الأمير الطرواى الذى حارب اليونان بشجاعة أثناء حصارهم لطر وادة
حتى إذا سقطت سافر إلى إيطاليا ونزل في منطقة «لاتيوم» . وحياة إينياس هي موضوع ملحمة
فرجيل الشهيرة .

إجادة الراهب الفقير لصلواته المقدسة .

إنك لن تتأوى أو ترفعى ذراعيك المبتورتين إلى
السماء ،

ولن يخلج لك جفن أو تحركى رأسك حركة ، ولن
تركمى أو تشيرى أية إشارة
إلا استخلصت منها حروفاً أطلعها ،

ثم أواصل المران حتى أتعلم كيف أفهم كل ما تعنين .
يا جدى العزيز ، كف عن هذا التواح المخلص
الحزين ،

٤٥

الغلام

وأدخل السرور على قلب عمتى بحكاية لطيفة .

يا أسفاه على الصبي الرقيق ، يحركه الأمى ،

فبيكى إذ يرى جده فى هذا الكرب القطيع .

يا أسكت أيها الصغير الرقيق ، فإنك مصنوع من

دموع

وستصهر الدموع حياتك حتى تقنها سريعاً .

٥٠

(ماركوس يفرغ صحنه بسكيت)

ماذا أصبت بسكينك يا ماركوس ؟

يا لم أصب يا مولاي غير ذباية أردت قتلها .

يا ويل لك يا قاتل ! لقد أصبت قلبى ،

ماركوس

تيتوس

أما كفاني ما ملأ عيني من مناظر الطغيان !

..

إن قتل البريء جرم

لا يليق بأخي لتيتوس ، هيا اذهب من هنا . .

فما أراك تصلح لصحبي .

: وأسنى يا مولاى ! إني لم أقتل إلا ذبابة !

ماركوس

: أو ليس لهذه الذبابة أب وأم ؟

٦٠ تيتوس

أتى لها أن ترفع أجنحتها الرقيقة المذهبة ،

فى الهواء فتقص قصة ما قد أصابها من أحزان .

يا للذبابة المسكينة ، إنها لم تكن شيئاً ،

جاءت إلى هنا ، بطينها الرشيق

لتدخل السرور علينا ، فإذا بك تقتلها ! !

٦٠

: عفوك يا سيدى ، لقد كانت ذبابة مشثومة سوداء

ماركوس

أقرب ما تكون شها بالأسود صاحب الإمبراطورة ،

لذلك قتلها

: ... ت ... ت ... ت ...

تيتوس

اغفر لى إذن أننى لمتك ،

فلقد أتيت عملاً طيباً .

٧٠

هات سكينك ، فأنا أيضاً سأمثل بها ،

موهماً نفسى أنها هى الأسود .

١١٩

٢٢

قد جاء هنا ليدس لى السم فى طعامى .

خذى ، هذه لك ، وتلك لتامورا ،

آه ، مرحى !

٧٥

غير أنى لا أظن أننا نزلنا إلى هذا الدوك

بحيث نشترك كلنا فى قتل ذبابة لا لشيء

إلا أنها أشبهت شخصاً أسود كالقحم .

: يا للرجل المسكين ، لقد هذه الحزن ،

ماركوس

فرأى الخيالات الباطلة واقعاً مرئياً

٨٠

: هلم ارفعوا المائدة ، وتعالى معى يا لافينيا ،

تيتوس

سأصحبك إلى حجرتك فأقرأ لك ،

قصصاً حزينة ، حدثت فى الزمان الغابر .

وتعال أنت يا بني معى ، فما زال بصرك غصاً حديداً

٨٥

فإذا ما كل بصرى قرأت لها أنت بدلا منى .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

روما - حديقة تيتوس . يدخل تيتوس وماركوس ، ثم يدخل لوكيوس الصغير حاملاً في يده كتبه ثم لافينيا تجرى وراءه .

- الغلام : جدى ، أنجذنى ، إن عمتى لافينيا
تعدو خلطى فى كل مكان، ولا أدرى لماذا ؟
يا عمى ماركوس ، انظر ما أسرع عدوها نحونا .
وأسفا يا عمتى الحبيبة ، أنا لا أفهم ما تعنين .
ماركوس : لوكيوس ! ! تعال إلى جانبي ولا تخش عمثك .
تيتوس : إنها لتحبك يا بنى ، تحبك كثيراً فلا يمكن أن تؤذيك .
الغلام : نعم ، كانت تحبنى أيام كان أبى فى روما .
ماركوس : ولكن ماذا تعنى ابنة أخى لافينيا بهذه الإشارات .
تيتوس : لا تخش منها يا لوكيوس ، فلا بد أنها تعنى شيئاً !
انظر يا لوكيوس ، كم تشير إليك .
وكأتما تريدك أن تذهب معها إلى مكان ما .

تأكد يا بنى أن « كورنيليا »^(١) نفسها لم تحرص
على أن تقرئ أولادها ، كما حرصت عمك على
أن تقرأ لك

الشعر العذب وخطب شيشرون .

ماركوس : ألا يمكن أن تحدث لم تلح هكذا عليك ؟

الغلام : كلا يا سيدى ، ولا يمكن أن أتصور
إلا أنها قد أصيبت بنوبة جنون .

فلكم سمعت جدى يقول :

إن المرء ليجن من وطأة الحزن الشديد .

ولقد قرأت أن هيكوبا الطروادية^(٢) ،

قد جنت من الحزن ، لهذا خفت .

وإن كنت أعلم يا سيدى أن عمى الكريمة ،

تحبنى كما أحبنتى أرى

(١) كورنيليا : كبيرة أسرة جراكى وابنه سكيون الإفريق ، تملت ولما اثنا عشر
ولداً فلم يبق منهم إلا فتاة تزوجت ، وولدان هما تيميريوس وكايوس جراكى . وقد شهر ابنها
بذكائهما وشجاعتهما كما اشتهرا بمصيرهما الفاجع . والإشارة فى البيت إلى حرص كورنيليا
على تربية أولادها وتعليمهم كيف يحبون الصالح العام والمجد والشعب .
(٢) Hecuba هيكوبا : زوجة بريام ملك طروادة . وأم هكتور وترويلوس
وباريس وكاساندر . ومصيرهم المفجعة هى التى سببت لها الجنون .

ف ٤

ولن تقدم على إفزاعى وأنا صغير إلا إذا كانت فى
فورة جنون ،

لهذا ألقيت بكتي ، وهربت ؛

٢٨

وقد لا يكون هناك ما يدعو إلى ذلك ! ! فىا عمتى
العزيزة ساعينى .

فإذا جاء معنا العم ماركوس ، فىانى يا سيدتى
على أتم استعداد لخدمتك .

: سأذهب يا لوكيوس

٢٠ ماركوس

: ماذا تبغين الآن يا لافينيا؟ ماركوس ، ماذا عساها

تيتوس

تعنى بما تفعل ؟

إن هناك كتاباً ، تريد أن تطلع عليه .

أيها يا بنية ، أيها تريدين ؟ افتحها يا بنى .

ولكن مالك ولكتب الصبى ! إنك أوسع اطلاعا ،
وأكثر دراية ،

فتعالى واختارى ما تريد من مكتبتى ،

٢٩

وأزيجى بهذا الستار عن حزنك حتى تكشف لنا

السماء عن اللعين الذى اقترف هذا الإثم .

لم ترفع ذراعها على التوالى هكذا

أظنها تعنى أنهما اثنان .

: ماركوس

- اللذان اقترفا هذا الشر ، نعم اثنان !
 أوقديكون أنها تكل أمرهما إلى السماء لتستقم لها منهما .
 ٤٠ : لوكيوس ، ما هذا الكتاب الذى تطلبه ؟
 تيتوس
 : هو يا جدى كتاب « أوفيد » : « عن المسخ »
 الغلام
 وكانت أى قد أعطتنى إياه .
 : لعلها ، حباً فى أمك الراحلة ،
 ماركوس
 تريد أن تستخلصه من بين هذه .
 : لا ، تمهل ، انظر ، إنها تقلب الأوراق باهتمام ؛
 ٤١ : تيتوس
 ساعدها
 ماذا يا ترى تريد أن تصل إليه ؟ لافينيا ، أقرأ لك ؟ .
 إنها قصة « فيلوميل » ومأساتها ،
 التى تقص خيانة تيريوس واغتصابه لها ،
 لكم أخشى أن يكون السر فيما أنت فيه من بلاء هو
 « الاغتصاب » .
 : أنخى ، انظر كيف تحدد الصفحات .
 ٥٠ : ماركوس
 : يا فتاتى الحلوة ، لافينيا ، أو بوغت
 تيتوس
 كفيلوميل ، واغتصبوك وأهانوك ،
 وقادوك إلى أحراج مهجورة ممتدة قابضة ؟
 انظر ، انظر !
 (يقراً)

ف ؛

١٢٤

نعم إنه لوصف مكان كهذا الذى كنا نصيد فيه .
آه ! لو أننا لم نخرج للصيد هناك فى هذا المكان ؛
لكأنما رسم المكان على نحو ما يصف الشاعر هنا ،
وكأنما أعدته الطبيعة ليكون صالحاً للقتل والاغتصاب .

••

: آه ؛ لم تصنع الطبيعة وكرأ قبيحاً كهذا ،

ماركوس

إلا أن تكون الآلهة يسعدها حدوث الفواجع .

٦٠

: أشيرى لنا يا ابننى الجميلة وافهمينا فليس هنا
إلا الأصدقاء ،

تيتوس

أى رومانى جرؤ على هذا الشر .

أتراه ساترين ، تسلل كما تسلل تاركوين .

عندما ترك المعسكر ليدنس فراش لوكرىس ؟

: يا ابنة الأخ اجلسى ، واجلس أنت يا أخى إلى

ماركوس

جانبي ،

٦٥

أيها الآلهة أبوللو ! بالاس ! زيوس ! أوميركورى !
ألهمنى حتى أستطيع الكشف عن هذه الخيانة !
إن هذه بقعة رملية منبسطة ، فلو استطعت أن تتبعى
عصاى

هكذا مثلى ، اكتبى هكذا

١٢٥

١٢

(يكتب بمصاه اسمه وقد أمسكها بقمه وحركها بقدمه)

لقد كتبت اسمي ،

ولم أستخدم يداً .

٧٠

تباً لذلك القلب الذي اضطربنا لأن نلجأ لهذا .

هلم اكتبي يا ابنة الأخ الطيبة ، واكشفي آخر الأمر ،

عن يريد الله أن يكشفه لنا لننتقم منه .

ولتهدي السماء قلمك ، فتخطي خبر ما أصابك

بوضوح ،

٧٥

لنعرف الحونة ولتظهر الحقيقة .

(تأخذ العصا في لها وتحركها بدراعيها المبتورتين وتكتب)

: آه ، أقرأت يا سيدي ما كتبت ؟

تيتوس

اغتنصاب — شرون — ديمتر يوس —

: من ؟ من ؟ ابنا تامورا الفاسقان

ماركوس

هما اللذان اقترفا هذا الإثم الدامي القبيح !

٨٠

: أيها الإله الأكبر حاكم السماوات العلا ،

تيتوس

إلام تبطئ في سماع هذه الجرائم ؟ أو رؤيتها ؟

: هدي نفسك يا سيدي ، وإن كنت أعلم

ماركوس

أنه قد كتب على الأرض أن يحدث فيها ما يكتفى

ف ٤

١٢٦

لأن يدفع أهدأ القلوب المطمئنة الراضية إلى التردد

٨٥

والعصيان ؛

ولأن يسلم عقول الرضع الأبرياء كيما تنور .

مولاي ، اركع معي ، واركني يا لافينيا ،
وأنت أيها الغلام ، يا أمل هكتور ^(١) الروماني ،
ولنقسم معاً ، كما أقسم مع جونيوس بروتس الزوج
الحزين ،

والد العفيفة التي دنس شرفها

٩٠

إذ أقسموا على أن ينتقموا ممن اغتصب لوكريس ،
أقسموا أننا سنحكم أمرنا ، وسنظل وراء
القوط الخونة حتى ننفذ فيهم انتقامنا المميت ،
حتى نرى دماءهم مسفوكة ، أو نموت بعار العجز
عن الانتقام لأنفسنا .

٩٠ تيتوس : سننتقم ولاريب ، وسرى كيف يكون الانتقام .

ولكن ، احترس ، إنك إن خرجت لتصطاد الدببة
الصغار

فقد تستيقظ أمهم ، فإذا شمت ربحك

(١) هكتور : هو ابن بريام ملك طروادة ، وبطل طروادى كبير قتله آخيل
انتقاماً لمقتل بروتوكليس . والإشارة هنا إلى لوكيوس .

١٢٧

١٢

فاذكر أنها ما زالت على وفاق تام مع الأسد ،
تضاجعه وتهدهده ليخفو ،
حتى إذا ما نام فعلت ما تشاء .

١٠٠

إنك في الصيد غير خبير يا ماركوس ، فدع أنت
الأمر حتى لا تثير الريب ،

وتعال معي ، سأحضر صفحة من النحاس ،
وأحفر عليها هذه الكلمات بقلم من الصلب مستلق ،
ثم أضعها جانباً ، فإذا ما هاجت ريح الشمال
الغاضبة ،

بهذه الرمال تطايرت كما تطايرت أوراق العرافة

١٠٥

سبيل (١)

فكيف تحفظ دروسك ، ماذا تقول يا بني ؟

الغلام : أقول إنى لو كنت الآن رجلاً يا سيدى

لما آمنوا على أنفسهم فى مخدع أمهم ،
أولئك العبيد الأوغاد أرقاء روما .

١١٠ ماركوس : إن هذا لابننا حقاً ، وما أكثر ما قدم أبوك

(١) بهذه الرمال : أى بالرمال التى كتبت عليها لافينيا وأوراق العرافة فى الأصل

Sybil's leaves ، وسبيل اسم العرافة عند القدماء .

ف ٤

١٢٨

مثل هذا لوطنه الجحود^(١) .

الغلام : وسأظل يا عمي أقدم لوطني ، ما دمت حيًا . .

تيتوس : هلم تعال معي إلى غرفة سلاحي ،

حتى أسلحك يا لوكيوس ، ومن هناك يا بني

ستحمل من عندي إلى ولدي الإمبراطورة

هدايا ، أريد أن أرسلها إليهما كليهما ،

تعال ! ستحمل رسالتي إليهما ؟ أليس كذلك ؟

١١٥

الغلام : نعم ، وأغمد في صدرهما خنجرى يا جدى :

تيتوس : كلا يا بني ، ليس كذلك ، سأعلمك طريقة

أخرى .

تعالى يا لافينيا ، إني لأوصيك أنت بيتى يا ماركوس .

فسنخاطر أنا ولوكيوس ونذهب إلى البلاط نفسه .

١٢٠

نعم ، سنذهب يا سيدى ، وسنضطرهم هناك لأن

يهتموا بأمرنا^(٢) .

ماركوس : أيتها السماء ، أو يمكن لك أن تسمعى أنين الرجل

الصالح

(١) مثل هذا : أى من الأعمال الجريئة كتبتهم أولاد قامورا حتى نخدعها .

(٢) يشير تيتوس إلى أنها لن يهمل في البلاط كما حدث من قبل بل سيفرضها الاهتمام بما يأتينا من أعمال .

١٢٩

١٢

ثم تترفق به أو تعطف عليه .
عليك يا ماركوس برعايته في ثورة جنونه ،
فإن ندوب الحزن في قلبه ، أكثر
من ضربات العدو في ترسه المثلث .
ولكنه يبلغ من إخلاصه لوطنه أنه لا يريد أن يندفع
لانتقام ،
فانتقمي أنت أيتها السماء له ، انتقمي لأندرونيكوس
الشيخ .

١٢٥

(يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثاني

حجرة فى القصر — يدخل هارون وديمترىوس وشيرون من جانب ويدخل لوكيوس الصغير ومعه أحد أفراد الحاشية من الجانب الآخر ، ويحمل تابع لوكيوس طائفة من الأسلحة قد لفت فى أوراق كتبت عليها أبيات شعرية .

شيرون : هذا ابن لوكيوس يا ديمترىوس ،

يحمل إلينا رسالة .

هارون : إنها لا شك رسالة مجنونة من جده المحنون .

الغلام : سادق ، بكل الخشوع الذى تستطيعه سننى ،

أحمل إلى سموكما تحية من أندرونيكوس .

(على حدة) وأدعو آلهة الرومان أن تلعنكما معاً .

ديمترىوس : شكراً عظيماً يا لوكيوس اللطيف . . ما الأخبار ؟

الغلام (على حدة) : الأخبار أنكما كشفتما !

وعرف أنكما مجرمان موصومان بمجرمة الاغتصاب .

عن إذنكما (بصوت عال)

لقد رأى جدى ، وهو موفق فيما ارتأى ، أن يرسلنى

إليكما

بخير سلاح لديه ؛

١٣١

٢٢

حتى تمتعا بشبابكما المجيد ،
الذى هو - كما طلب إلى أن أبلغكم - أمل روما .
وإني إذ أبلغ ذلك ، أتقدم بهداياه
لسموكم ، حتى إذا احتجتما ،
تسلحتما وتهيأتما بكامل السلاح ،
وأستأذنكما الآن (على حدة) أيها السفاكان
الوغدان

١٥

(يخرج الغلام والتابع)

ديمتريوس : ماذا هناك ؟ لفة من ورق ، عليها سطور منقوشة
فلنقرأ ما بها :

« من كان نقي القلب بلا جريمة ،
فلن يحتاج إلى نبال العبد الأسود ولا إلى قوسه
وسهامه المسمومة ليملأ بها كنانته » .

٢٠

شIRON : هذا شعر هوراس ، إلى لأعرفه جيداً

وقد قرأته في الكتاب المدرسى من زمن .

٢٥ هارون : نعم ، بالضبط شعر من هوراس ! حقاً ! فهمتها .

(على حدة) ألا ما أعجب أن يكون المرء حماراً ،
لأنها للعبة تفوق الوصف ! لقد كشف الشيخ جريمتها
فأرسل لهما سلاحاً ملفوفاً بالشعر ،

ليصبيهما في الصميم وهما لا يشعران .
لو لم تكن إمبراطورتنا الفطنة على فراش الوضع
لصفقت لتدبير أندرونيكوس وخطته ،
ولكن فلنتركها في عناثها لتستريح من هذا على
الأقل .

٣٠

(بصوت مرتفع) : أيها السادة الشبان ، أو لم يكن نجماً سعيداً ، هذا
الذي قادنا إلى روما ، غرباء لا بل أسرى !
ثم قفز بنا صاعداً إلى هذه المنزلة الرفيعة ؟
كم سررت وأنا أمام باب القصر
عندما تحدثت الزعيم على مسمع من أخيه .
ديمتريوس : ولكنني كنت أكثر سروراً ، وأنا أرى سيداً بهذه
العظمة

٣٥

يتنازل ويعطف علينا فيرسل إلينا هدايا
هارون : ألا ترى له حقاً في هذا يا سيد ديمتريوس ؟
أو لم تحسنا معاملة ابنته كل الإحسان ؟

٤٠

ديمتريوس : كم أتمنى لو أن ألف امرأة رومانية
وقعن في أيدينا ، فنشبع شهوتنا منهن واحدة فواحدة .
شيرون : هذه أمان طيبة ، ملؤها الحب .

هارون : لا تنقصكما إلا أمكما ، لنقول آمين .
 ٤ شيرون : ستفعل ! ولو زدناهن عشرين ألفاً .
 ديمتريوس : هلم بنا نصل لكل الآلهة كي تخفف عن أمنا الحبيبة .

هارون (ملاحظة) : صلوا للشياطين فقد تخلت عنا الآلهة .
 (دقات طبول)

شيرون : ربما ابتهاجاً بأن صار للإمبراطور ابن .
 ديمتريوس : مهلاً ، من القادم
 (تدخل ظئر ، وطفل أسود)
 ٥ الظئر : سادتي ، صباح الخير ، ألم تروا هارون الأسود
 هارون : أسود ، أبيض ، أو لا لون له (١)
 فهذا هو هارون . والآن ماذا تريدن من هارون ؟
 الظئر : أيها الطيب هارون ، لقد حل بنا الخطب جميعاً ،
 أعنا ، وإلا نزل بك أنت الشقاء المؤبد .
 ٥٥ هارون : ما هذا المواء يا امرأة ؟
 وما الذي تلفينه في ذراعيك وتحسسينه بين يديك .

(١) لم نرتبط بالمعنى الحرفي لكلمة Moor منذ أول الرواية . فكنا نترجمها عبد أو أسود أو أسمر وقد نقلنا هنا أيضاً التلاعب اللفظي على More, Mour بما يمكن أن يحتفظ باستهجان هارون لطلب المرضة .

ف ٤

١٣٤

الظئر : شىء حبذا لو استطعت إخفاءه عن عين السماء
إنه عار مليكتها . وفضيحة روما العظمى ،
لقد وضعت ! أيها السادة . وضعت

هارون : وماذا وضعت ؟

٦٥ الظئر : أعنى وضعت طفلا

هارون : وماذا فى هذا ! عافاها الله ! وما يكون الطفل

الظئر : شيطان !

هارون : إذن فهى زوجة إبليس ؟

بارك الله فى النسل

الظئر : لا ، إنه نسل بائس . محزن أسود مشثوم .

٧٠ هذا هو الطفل . قبيح كالضفدعة

إذا قارنته بأولاد بلدنا الشقر .

وقد أرسلته الإمبراطورة إليك لأن عليه طابعك
وخاتمك ،

آمرة إياك أن تغمد فيه حذخنجرى .

هارون : خست يا عاهرة ! وهل السواد محقر إلى هذا الحد ؟

٧٥ تعال يا أحمر الخدين ، إنك برعم جميل بلا ريب .

ديمتريوس : ماذا فعلت يا وغد ؟ !

هارون : فعلت ما لا تستطيع نقضه !

١٣٥

٢٢

- شبرون : لقد أضعت أمنا ؟ !
- هارون : كلا يا أحق ، بل حرصت على امتلاكها .
- ديمتريوس : فأضعتها أيها الكلب الجهل .
- ٨٠ : ما أشق حظها ، ويا بشس الاختيار الزنيم .
- وسحقاً لنسل هذا الشيطان الرجيم .
- شبرون : لن يعيش !
- هارون : لن يموت !
- الظئر : بل لأبد أن يموت يا هارون ، إن أمه تريد ذلك !
- ٨٥ هارون : تقولين لأبد ! إذن لن يُنفذ غيري أنا
- هذا الحكم ، في الحمى ودمي .
- ديمتريوس : سأبقر بطن الضفدع بحد الحسام .
- ناوليني إياه أيها المرضع ، فسيودي به سيفي سريعاً .
- هارون : ويصبح هذا السيف أسرع في إخراج أحشائك
- من جوفك .

(يأخذ الطفل من الظئر ويشرع سيفه)

- ٩٠ مهلا . أيها الأوغاد القتلة ، أقتلان أخاكم ؟
- إني لأقسم بكل سراج منير
- توهج في السماء ساعة ولد هذا الصبي ،
- أن أقتل بحد حسامي القاصم

٤ ف

١٣٦

كل من يمس خليفتي وابني الأول .
وإني لأنذركم أيها الصغار ، بأن أنكلالوس^(١) نفسه ،
بكل عصابته المتوقعة من أبناء طيفون ،
بل هرقل العظيم ، بل إله الحرب نفسه ،
لن يقدرُوا جميعاً على اختطاف هذه الغنيمة من
يد صاحبها .

٩٥

ماذا تظنون يا ذوى الحدود^(٢) الحمر والقلوب الخاوية ،
إنكما لكاحلدران المطلية بالجير ، ولافتات الحانات
الملونة ،

١٠٠

أما سواد الفحم ، فخير من أى صبغ ،
لأنه يأتى أن تعلوه أى صبغ آخر غيره .
وإن المحيط بكل مائه

لن يحيل سواد سيقان البجع إلى بياض ،
وإن غسلت سيقانها كل ساعة فى خضم من الماء .
قولاً للإمبراطورة عني لأننى قد بلغت من العمر

١٠٥

(١) Erceladus ابن طيفون : أحد الجبابرة الذين حاربوا زيوس والآلهة ويقال
لأنه سجن تحت بركان إتنا .
(٢) يتهم هارون بملامح القوط وفيهم حمرة وبياض ويشبههم باللافتات الملونة .

ما يسمح لي بأن أرى بُنى كما ينبغي ، ولتلمس
هي ما شاءت من عذر .

ديمترىوس : أو تخون سيدتك العظيمة على هذا النحو ؟
هارون : إن سيدتى هذه ، عشيقتى ، أما هذا قطعة من
نفسى .

إنه زهرة شبانى وصورته الحلوة ،
وإني لأفضله هو على العالم أجمع ،
إنه هو الذى سأحميه على الرغم من الدنيا كلها ؛
فإن لم يرضكم هذا فإنى لأشتم ريح عذابكم فى روما .
ديمترىوس : ولكن تصرفك سيفضح أمننا إلى الأبد .
شIRON : ستحتقرها روما على هذه الزلة الفاضحة .
الظئر : وقد يحكم الإمبراطور فى غضبه عليها بالموت .
شIRON : إن وجهى ليحمر خجلا من نخزى هذا العار .
هارون : نعم ، فهذا من مميزات جمالكم ، وبياض بشرتكم ،
تبساً لهذا البياض الخائن الذى يفضح بحمرة الخجل ،
نوايا القلب الخفية ومقاصده .

هذا غلام صغير ، قد قُدد لونه من طينة أخرى ،
انظرا كيف يبسم العبد الصغير فى وجه أبيه ،
وكأنما هو يقول : « أنا ابنك أنت أيها الرجل »

ف ٤

١٣٨

إنه لأخوكما أيها السيدان ، لقد غذاه كما تريان في
وضوح ،

١٢٥

نفس الدم الذى وهبكما الحياة ،
ومن نفس الرحم الذى سجنكما فيه حيناً
خرج ! متحرراً إلى ضوء الحياة ،
نعم هو أخوكما لأمكما ، أخوكما من الجانب الذى
لا يقبل الشك ،

وإن يكن قد ختم وجهه بخاتمي .

١٣٠ الظئر : ماذا سأقول للإمبراطورة يا هارون ؟

ديمتريوس : تستر علينا يا هارون ، ماذا نفعل ؟

وسنأخذ جميعاً بمشورتك ،

أنقذ الطفل ولكن على نحو ينجيننا جميعاً معه .

هارون : إذن فلنجلس جميعاً ولنتشاور ،

١٣٥

ولكننى سأظل ، أنا وابنى ، على حذر ،

فابقيا في مكانكما ، وتحدثا كما شئتما ، من بعيد

في أمر نجاتكم

(يجلسون)

ديمتريوس : كم امرأة رأت ابنه هذا ؟

هارون : نعم ، هكذا أيها الشجعان ، إننا إذا اتفقنا

١٣٩

كنت كالحمل الوديع ، أما إذا تحدّيتم الأسود
الجرىء

فإن الخنزير الوحشى الهائج ، واللبؤة الجبلية الثائرة ،
بل البحر الهائج ، لن يعصف بكم ، كما يعصف
هارون .

٢٢

١٤٠

ولكن أجيبي ، مرة أخرى ، من رأى الطفل ؟

: كورنيليا القابلة وأنا ؟

الظئر

ثم لا أحد إلا الإمبراطورة التى وضعتہ .

: الإمبراطورة ، والقابلة ، وأنت !

١٤٥ هارون

قد يحفظ السر بين اثنين ، إذا قضى ثالثهما :

فعودى إلى الإمبراطورة وقول لها إننى قلت هذا .

(يطمئنها)

« ويك . . ويك » : إنه لصراخ الخنازير إذا

أعدت للشواء .

: ماذا تعنى يا هارون ، لم فعلت هذا ؟

ديمترىوس

: هذا يا سيدى الدهاء والحيلة ،

١٥٠ هارون

أتركها تعيش لتفصح لثمننا

وهى نمامة ، ثرثرة طويلة اللسان ؟ كلا ، أيها

السيدان ، كلا ،

- ١٤٠ ف ٤
- سأعرفكما بخطتي كلها الآن .
- هناك مولى من مواطني ، يعيش غير بعيد من هنا ،
- ١٥٥ قد ولدت زوجه ليلة أمس ،
- فجاء ابنهما كأمه أبيض مثلكما .
- فاذهبا إليه ، واتفقا معه ، وأعطيا الأم ذهباً ،
- وقصبا عليها ظروف الأمر كله ،
- وأشرحا لها كيف أن ابنها سيعلو بهذا علواً عظيماً ،
- وسيعامل معاملة خليفة الإمبراطور ،
- ١٦٠ لأنه سيوضع مكان ابني ؛
- وبهذا تهدأ العاصفة التي يمجج بها البلاط .
- وتترك الإمبراطور يدللّه على أنه ابنه .
- أنصتنا إلى ألا ترياين أحسنت علاجها ؟ !
- (يشير إلى القتيلة)
- ١٦٥ إن دوركما الآن أن تتفضلا بتشجيع جنازتها
- إن الحقول قريبة ، وأنما شباب شهم ينجد النساء .
- فإذا انتهيتما من هذه المهمة فلا تضيعا وقتاً ،
- بل أرسلنا إلى القابلة ،
- حتى إذا تخلصنا من الموضع والقابلة ،
- ١٧٠ تركنا للنساء الأخريات حرية الثروة كما يشأن .

١٤١

٢٢

شـيرون : إنك يا هارون لا تأمن حتى الهواء ،
على الأسرار .

ديمتريوس : بهذه الرعاية ، لتامورا ،
ستأسرها وتأسر ذويها معها .

(يخرج ديمتريوس وشيرون يحملان القتيلة)

هارون : الآن انطلق إلى بلاد الغوط سريعاً خفيفاً كالطير ،
فأودع هناك الكنز الذى بين ذراعى ،
أحبي أصدقاء الإمبراطورة سرّاً .

١٧٥

هلم يا عبد يا غليظ الشفة ، هيا بنا ، فسأبعدك
عن هنا

لأنك أنت الذى وضعتنا فى هذا المأزق ،

سأطعمك الخدور والتوت البرى ،

وأغذيك بالرائب وبالنخيض ، وأرضعك من لبن

١٨٠

الماعز ، وأسكنك الكهوف وأعدك لتكون

محارباً قوياً تقود جيشاً كاملاً .

(يخرج معه الطفل)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

ميدان عام - يدخل تيتوس يحمل سهماً علقت بأطرافها رسائل ويدخل معه ماركوس الصغير ، وببليوس وسبرونيوس وكايوس وآخرون يحملون جميعاً الآقواس .

تيتوس : هلم يا ماركوس ، هذا هو الطريق يا أبناء العم ^(١) .

والآن يا بني ، أرني مهارتك في الرماية ،

أحرص على أن تسدد تسديداً محكماً حتى يصل

السهم إلى مكانه بالضبط .

إن العدالة قد غادرت هذه ^(٢) الأرض ،

تذكر هذا يا ماركوس ، غادرتها ! هربت منها !

إلى آلائكم أيها السادة ، يا أبناء العم ، هيا جميعاً ،

اسبروا غور المحيط وألقوا شباككم ،

فقد يشاء لكم الحظ السعيد ، أن تعثروا على العدالة

في البحر ،

وإن كانت نادرة هناك ندرتها على البر .

اتركا هذا ، وأنت يا ببليوس وأنت يا سبرونيوس ،

١٠

(١) تيتوس هنا في حالة بين الجنون والعقل أو هو على الأقل يتظاهر بهذا .

(٢) Terras Astracaequit « استراى » هى إلهة العدالة .

- احفرو بالمسحاة وبالمعول بدلا من هذا
وشقا الأرض إلى أبعد أعماقها ،
حتى إذا أتيتما إلى مستقر « پلوتو »
فارفعوا إليه بالله عليكما هذه الضراعة ،
قولاه ، لأنها من أجل استجداء العدالة والعون ، ١٥
ولأنها مرفوعة من أندرونيكوس ، الشيخ .
الذي هددته الأحزان في روما الجاحدة .
أى روما ، حقاً ، إني أنا الذى أشقاك
حين ألقيت بتأييد الشعب
إلى الذى ينزل بى طغيانه الآن . ٢٠
هلم فانصرفوا ، وأرجوكم جميعاً أن تلتفتوا كل الالتفات
فلا تفوتنكم سفينة من سفن الحرب دون أن تفتشوها ،
فقد يقوم الإمبراطور الشرير بهريب العدالة على
سفينة من هنا ،
ثم نقوم نحن أيها الأقارب فندعوها (١)
ماركوس : أوليس من المؤلم يابيلوس
أن يُرى عمك النبيل وقد اختل عقله ؟ ! ٢٥

(١) We may go pipe for justice أى ندعوها فلا تستجيب ، والعبارة مستقاة من

النص الإنجيلي : « ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا » (متى : ١١ : ١٧)

- ببليوس : لذلك نحرص يا سيدى كل الحرص
على أن نرعاها بعناية ، ليل نهار ،
وأن نسايره على هواه مترقبين به غاية الرفق ،
إلى أن يجود علينا الزمان بعلاج عزز المنال ^(١)
- ٣٠ ماركوس : لم يعد هناك دواء ، 'يجدى فى أحزانه ، يا أبناء العم،
ولكن ^(٢) . .
- اذهبوا فحالفوا القوط ، وشنوا حرب الانتقام ،
لتأخذوا فيها بالثأر لأنفسكم من روما الجاحدة ،
ووقتصوا بها من ساترين الخائن .
- تيتوس : ببليوس ماذا ! ماذا أيها السادة ،
ماذا ! هل صادفتم العدالة والتقييم بها ؟
- ٣٥ ببليوس : لا يا مولاي ، غير أن « بلوتو » إله الجحيم يرد عليك
قائلا :
- إنك إذا طلبت آلهة الانتقام من جحيمه ، جاءتك .
أما العدالة ، فهي جد مشغولة .

(١) beget some, careful remedy يبدو أن المعنى - كما شرحه بيلدون - هو أنهم
سيجدون بمرور الزمن وبفضل اهتمامهم وانتباههم علاجاً يشفيه من آلامه .
أى يكلف العناء والتعب فى سبيله -

(٢) والشرائح يجزمون بسقوط البيت « ولكن » وحدها لا تدل على الانتقال فى المعنى .

لأنها - فيما نعتقد - مع الإله الأكبر في السماء أو في مكان آخر .

ولابد لك - إذا كنت تريدها - من أن تنتظر قليلا ،

٤٠

تيتوس : إنه ليسىءٌ إلى إذ يُعذبني بالوعود وبالتسويق سألقى بنفسى في البحيرة المشتعلة (١) وأغوص في الأعماق ،

حتى أجرها من كعبها وأنترعها من نهر آشرون (٢) .
ما نحن إلا أعشاب ضعيفة ، يا ماركوس ، ولسنا كشجر الأرز

لسنا عمالقة كالسيكلوب (٣) بقاماتها الضخمة ،
حقاً إننا قد ولدنا أصحاء أقوياء البنية ،

٤٥

ولكن المصائب ، حملتنا فوق ما تحتمل كواهلنا
فلإذا لم تكن هناك عدالة على الأرض أو في الجحيم ،
فلنتوسل إلى السماء ، ولنغر الآلهة ،

بأن ترسل العدالة على الأرض لتنتقم لمصائبنا .

٥٠

(١) البحيرة : المشتعلة بحيرة على باب الجحيم .

(٢) آشرون : نهر في الجحيم .

(٣) السيكلوب Cyclop : عمالقة مذكورة في «أوديسا» هومر في الكتاب التاسع منها .

هلم للعمل ، فإنك يا ماركوس رام ماهر ،
(يعطيه السهام)
خذ هذه لك ، أيها الإله الأكبر ، وهذه لأبولو ،
وتلك للمارس إله الحرب ، أى لى أنا ،
أما أنت يا بنى ، فخذ ، هذه لبلاس . وتلك
لمركورى ،

وهذه يا كايوس ، لساترن لا لساترنين .
وحدير بمثلكم أن يصيب ولو رى ضد الريح .
هلم يا بنى ، ولا تطلق السهام يا ماركوس حتى آمرك
بذلك .

••

فقد وفقت ، والله ، فيما كتبت ،
فما تركنا إلهاً لم نضرع إليه .
٦٠ ماركوس : صوبوا سهامكم كلها يا أبناء العم إلى البلاط ،
لنصيب الإمبراطور فى كبريائه .
تيتوس : والآن ، أطلقوا يا سادة .
(يطلقون السهام)

مرحى لوكيوس أحسنت

لقد أودعت هذه صدر « فيرجو » (١) العذراء

(١) Virgo مجموعة النجوم (دائرة فلكية) ومعنى الاسم العذراء .

- يا بنى ، فأرسل الثانية إلى بالاس .
- ٦٥ ماركوس : أما أنا يا مولاي ، فقد صوبتها أميالا فما وراء القمر (١) ولا شك أن خطابك الآن بين يدي جوبتر .
- تيتوس : بيليوس ، بيليوس ، ماذا فعلت ؟
(يفضحك)
- انظر ، انظر ! لقد أصبت فنزعت من الثور قرنه (٢)
- ماركوس : ذلك هو الصيد الحق يا مولاي ، فإن بيليوس عندما أصاب الثور : هاج ، فنطح الحمل نطحة
٧٠ وقعت في البلاط قرني الحروف ،
ولن تظنه وجدهما غير الأسود وغير الإمبراطورة ،
فلما رأت ذلك الإمبراطورة ضحكت وقالت للأسود
« لا عليك الآن »
- أن تقدمهما هدية إلى سيدك »
- ٧٥ تيتوس : حقاً لقد أصبحا له ، متع الله جلالته بهما
(يدخل مهرج معه سلة فيها حمانتان (٣))

(١) من الواضح أن ماركوس يساير تيتوس في جنونه .
(٢) الدور والحمل من الأبراج الفلكية ، والإشارة إلى القرون وإلى ماتثيره من معنى عدم الغيرة على العرض واضحة متكررة .
(٣) هذا المنظر حيث يدخل المهرج يبدو مقحماً إقحاماً وهو كنظر السهام والرسائل قد قصد بهما أن يحفظا على النظارة عنف الحركة التي تليها وإن يكن المنظران لا يصلان إلى مرتبة الجودة المطلوبة في المناظر المسلية . ومنظر المهرج مشهور كله .

أخبار ! أخبار من السماء ! وصل البريد يا ماركوس .
ما الأنباء ، أمعك خطابات ؟

أو تنزل إلينا العدالة ؟ ماذا قال رب المشارق^(١) ؟

المهرج : يقول رب المشارق ؟ ! إنه يقول إنه أنزلها بعد أن كان

نصبها لأن الرجل لن يشق إلا الأسبوع القادم .

تيتوس : إني أسألك ماذا قال جوبتر ، وب المشارق ؟

المهرج : آسف يا سيدى ، إننى لا أعرف جوبتر هذا ولم

أشرب فى حياتى كأساً معه قط .

تيتوس : ماذا أيها الوغد أو لست ساعى البريد .

٨٥ المهرج : أنا لا أسعى يا مولاي إلا بحمامتى ولا شىء غير ذلك .

تيتوس : أو لم تأت من السماء ؟

المهرج : من السماء ؟ آسف يا سيدى ، إننى لم أذهب إلى

هناك قط ، ألا فليحفظنى الإله من أن أساق إلى

٩٠ السماء وأنا كما ترى ما زلت فى شرخ الشباب .

إننى ذاهب إلى محكمة الشعب^(١) مع حمامتى " ،

(١) قال تيتوس Jupiter وسمها المهرج Gibbet أى صانع المشائق . وآثرنا الاحتفاظ إلى حد ما بالالتباس الصوق .

لنفس شجاراً، شجاراً نشب بين عمى ورجل
من رجال الإمبراطور.

ماركوس : هذا يا سيدى خير من يرفع التماسك

فأرسله بهذه الحمام إلى الإمبراطور. ٩٥

تيتوس : قل لى، ألاستطيع أن ترفع التماساً إلى الإمبراطور
وأن ترفعه فى خشوع كما ينبغي (٢) ؟

المهرج : لا والله يا سيدى ، لأننى لم أؤد صلاة فى خشوع
فى حياتى قط .

١٠٠ تيتوس : صه واقرب ، ولا تثر المشاكل بلاسبب .

احمل حمامتيك إلى الإمبراطور .

وأقسم لك أنك ستنال جزاءك العادل على يديه
ولكن قف ، تمهل ، خذ هذا المال أجراً ،
إعطونى قلماً وحبراً . .

وأنت ! أنتطوع إذن لرفع مظلمة . ١٠٥

(١) يلاحظ أن المهرج يسعى إلى العدالة ولكن بطريقته العملية ، بالرشوة .

(٢) الأبيات ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، فى هذه الأبيات تستعمل كلمتا graces, grace

والأولى تعنى حسن الأداء وتعنى الثانية الصلاة ولقد أضفنا كلمة خشوع ليتحقق شئ من
أثر التورية فى اللفظ .

ف ء

١٥٠

: نعم يا سيدى .

المهرج

: خذ إذن ، هاك مظلمة . فإذا ما دخلت عليه فبادر
بالركوع ثم قبل قدميه

تيتوس

وناوله حمامتيك ، وانتظر بعد ذلك مكافأتك .
احرص على أن تقوم بهذا في شجاعة ، فسأكون
على مقربة منك .

: أؤكد لك ، يا سيدى ، أنى سأفعل فدع هذا الأمر
إلى .

١١٠ المهرج

: اسمع ، هل معك سكين ، تعال أرنى إياها ،
يا ماركوس ، خذها ولفها بالالتماس ،
فلقد كتبته بأسلوب الضارع المتواضع .

تيتوس

وإذا سلمته للإمبراطور

فاطرق بابى لتخبرنى بما قال .

١١٠

: الله معك يا سيدى ، وسأفعل ذلك .

المهرج

: هلم يا ماركوس فلنذهب ، وأنت يا بيليوس ،
اتبعنى .

تيتوس

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر - يدخل ساترنيوس وتامورا وديميريوس وشيرون ومعهم جماعة أخرى من الأعيان وغيرهم ، ويحمل ساترنيوس في يده الأسهم الى دهايتيس .

ساترنيوس : ما هذه الإهانات أيها السادة؟ هل رأيتم قبل اليوم

إمبراطوراً ، يُذكر على هذا النحو في روما ،

ويتحداه الناس ويشرونه ، كما ترون ، لأنه حقق

المساواة أمام العدالة يُقابل بهذه الإهانة ؟

سادتي ، إنكم لتعرفون ، كما نعرف الآلهة ، جلت

قلوبها .

أنه على الرغم مما يلقيه مثيرو الشعب والفوضى ،

من أقوال مكررة في آذان الشعب ؛ لم يتخذ إجراء

واحد

لا يتفق كل الاتفاق مع القانون ضد العاصين ،

ولدى أندرونيكوس الشيخ . ثم ما ذنبنا نحن ،

إذا كانت أحزانه قد تكاثفت فحجبت عقله ؟

أهكذا يوجه إلينا اعتداءاته الانتقامية ؟

ونوبات جنونه ، وسورة غضبه . وهياج مرأته ؟

إنه يكتب الآن للسماء كى تقتص له :
فهذه رسالة للإله الأكبر ، وتلك لمركورى ،
وهذه لأبولو ، وتلك لإله الحرب ،
ألا ما أطفها من رسائل تطير محلقة فى شوارع
روما !

١٥

ماذا يمكن أن يكون هذا إن لم يكن تشهيراً بمجلس
الشيوخ ،

ونشراً للأكاذيب عن ظلمنا فى كل مكان ؟
أوليس هذا الجنون لطيفاً أيها السادة ،
كأنما يريد أن يقول ؛ إنه لا عدالة فى روما .
ولكن ، إن عشت ، فلن يجد فى هذا الجنون الذى
يدعيه

٢٠

ما يستتر وراءه ليبرر وقاحته ،
سيعرف هو وآله أن العدالة قائمة ،
تسير فى ركاب ساترين . وأنها إذا نامت ،
فسيقظها ساترين ، يقظة تستفزها ،
لتستأصل شأفة أقوى متآمر يعيش على وجه الأرض .

٢٥

: مولاي الكريم ، حبيبي ساترين ،
سيد حياتي المسيطر على كل أفكارى ،

تامورا

١٥٣

٤٢

هدى نفسك وتحمل أخطاء تيتوس الشيخ
لأنها من فعل حزنه على ابنه الكريمين ،
فقد أصابه فقدهما في الصميم وخلف الندوب في
فؤاده .

٣٠

والأولى بك أن تواسيه في حاله التعسة ،
لأن تحاسبه على الحقير أو الجليل
من هذه الأخطاء في حقلك ، (عل حدة) نعم
وأولى

بتأمورا ذات التدبير الحكيم أن تداهنهم جميعاً .

٣٥

ولقد أصبتك يا تيتوس في الصميم ،
فإذا ما سلبتلك الحياة نفسها ، وإذا ما كان هارون
حكيماً

فلننا نكون قد أمنا على كل شيء وغدت السفينة
راسية في المرفأ .

(يدخل المهرج)

ما وراءك أيها الرجل الطيب ؟ أو تريد أن تتحدث
إلينا ؟

٤٠ المهرج : نعم والله ، إذا كنت أنت صاحبة الجلالة !

ف :

تامورا : أنا الإمبراطورة ، وهذا هو ، الإمبراطور ، جالس هناك .

المهرج : إنه هومن أريد ! أسعد الله ، والقديس ستيفن ^(١) ، مساءك . إني أحمل لك هنا ، خطاباً وحمامتين (يقرأ ساترنين الخطاب)

ساترنينوس : اغرب عن وجهي ، خذوه بعيداً واشنقوه في الحال .

المهرج : ولكن كم ستدفعون لي ؟

تامورا : كفى أيها الشقي ، لا بد أن تشنق .

المهرج : أشنق ! ! يا سيدتي إذن لقد بلغت إلى نهاية طيبة (يخرج الحراس)

ساترنينوس : يا لهذه الإساءات المهينة التي لا تحتمل !

أو أصبر على هذا الإجراء البشع ؟

إني متأكد ممن تصدر هذه الألاعيب .

أو يحتمل هذا ؟ لكأنما ولداه الخائنات

الاذان حكم عليهما القانون بالوت ، لجريمة قتلتهما

أخى ،

(١) God and Saint Styphen دعاء شائع في أيام شكسبير وأغلب الظن أنه يتجه

يه إلى التلاوة حتى يأتقوا المهرج ويطربوا لهذا التناقض التاريخي الملحوظ عندما يسمعون رجلاً رومانياً يتلقى بكلامهم الدارج .

قد ذبحتهما أنا بتدبيرى ظلماً وعدواناً .
 هلم ، حروا هذا الوغد من شعره إلى هنا ،
 ولا ترعوا له حرمة سن أو مقام
 سأكون أنا جلادك على هذه السخرية المتطاولة ؛
 أيها المحنون الخبيث الشقي ! لقد عاونتنى لأصل إلى
 المحد
 وأنت تأمل في قرارة نفسك أن تحكم روما وأن
 تحكمنى معها .

٥٥

(يدخل إيميليوس) .

إيميليوس : إلى السلاح أيها السادة ، فما كانت روما أحوج إليه
 مما هي الآن !

لقد جند القوط جيشاً مسلحاً
 من جنود أشداء ، عازمين على الغزو والنهب
 وهم زاحفون نحونا بقيادة
 لوكيوس ، ابن أندرونيكوس الشيخ ؛
 وهو يرعد منذراً بأنه سيأتى في انتقامه
 بأبشع ما انتقم به كوريولانوس^(١) نفسه
 ساترينوس : لوكيوس المغوار ، يقود القوط ؟ !

٦٠

٦٥

(١) Coriolanus قائده روماني من القرن الخامس قبل الميلاد .

ف ؛

١٥٦

أنباء ، يجمد الدم في عروقي من هولها ؛ فيتدلى
رأسي
كالزهور يثقلها الصقيع ، أو العشب اقتلعتة الريح
وألقت به العواصف .

نعم قد حان دورنا لنأخذ نصيبنا من الأحزان !
إنه هو الذى يحبه الشعب حباً جمّاً .

٧٠

ولكم سمعتم بأذى ، وأنا متذكر في زى الرجل العادى ،
يقولون ، إن الحكم بنى لوكيوس كان حكماً ظالماً .
وهم يتمنون أن يكون لوكيوس إمبراطورهم .

تامورا : لماذا تخاف ؟ أو ليست مدينتك منيعة !

٧٥ ساترينوس : نعم ، ولكن المواطنين يفضلون لوكيوس
وسيخرجون علىّ ويعصوننى ليساعدوه هو .

تامورا : أيها الملك ، لتكن أفكارك عظيمة تليق بعظمة
لقبك .

أيحجب ضوء الشمس أن تطير الحشرات فى شعاعها ؟
إن النسر ليحتمل من الطيور الصغيرة أن تغنى
دون أن يهमे ما تريد بغنائها .

٨٠

لأنه موقن أن ظلا من جناحيه ،

يستطيع أن يخرس أنغامها متى شاء أن يخرسها .
وهذا شأنك أنت مع الحمقى من الرومان ،
فطمئن إذن نفسك ، واعلم أيها الإمبراطور
أننى سأسحر أندرونيكوس الشيخ
بكلمات أكثر حلاوة وأشد خطراً

٨٥

من الطعم على الأسماك و« البريسم » على قطع
الغنى ،

فتجرح الأولى من شص الطعم
وتمرض الأخرى من المرعى الشهى .

ساترين : أو تظنه يشفع لنا عند ولده

تامورا : إذا توسلت إليه تامورا ، فعل .

فلأننى أستطيع أن أستميل أذنه الواهية ، وأن أملاها
بمعسول الوعود ، بحيث لو كان قلبه
لا يخضع . وأذنه الواهنة لا تسمع ،

فإن أذنه وقلبه ، كليهما سيصبحان طوع أمرى . ٩٠

(إلى إيميليس) تقدم وكن سفيرنا ا

انقل إليهم أن الإمبراطور يطلب مقابلة

لوكيوس المغوار ، وعين مكان اللقاء

ولنلتق ، إذا لم يكن من الأمر بد ، في بيت أبيه
أندرونيكوس الشيخ .

١٠٠ ساترينوس : أدّ يا إيميلوس ، هذه الرسالة في شرف ،
فإذا ما اشترط عليك رهائن لضمان سلامته ،
فسأله أن يطلب الضمان الذي يريد .

إيميلوس : سأقوم بما كلفتنى به خير قيام .
تامورا : والآن أمضى إلى ذلك الشيخ أندرونيكوس
أعجله بكل ما لدى من فن ؛

١٠٥

حتى أقتطع لوكيوس الجبار من زعامة القوط المحاربين .
والآن ، يا حبيبي الإمبراطور ، استعد بشرك كما
كنت ،

وادفن مخاوفك جميعها فيما دبرت من خطط .
ساترينوس : اذهبي إذن ، عسى أن تنجحى في استمالته .
(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سهول قرب روما - يدخل لوكيوس على رأس جيش من القوط معهم طبول وأعلام

لوكيوس : أيها المحاربون المحنكون ، أصدقائي الأعزاء ،
وصلتني من أهل روما المحيدة رسالة ؛
تكشف عن الكره الذي يكنونه لإمبراطورهم ،
وللمشوق الشديد الذي يشتاقونه لرؤيتنا .
فيما أيها العظماء ، كونوا أكفاءاً لألقابكم الجليلة ؛
أعزاء لا تصبرون على الضيم ،
وإذا كانت روما أوقعت بكم الضرر
فاجعلوها تغرم الغرم مضاعفاً .

القوطى الأول : أيها الفرع الشجاع النابت من دوحة أندرونيكوس
العظيم .
هذا الذي كان اسمه يبعث فينا الرعب فأصبح الآن
ينشر بيننا الأسى .

إن كل ما قدمه من مآثر رفيعة ، وفعال مجيدة ،

قد جزته عليها روما الجاحدة احتقاراً مشيناً ظالماً .
استمد إذن شجاعتك منا فستبعك إلى حيث تقود ،
كسرب من النحل اللاذع ، في قيط يوم صائف
حار ،

وقد أطلقه صاحبه على الحقول المزهرة ،
حتى تنتقم لنفسك من تامورا اللعينة .

القوط : إننا نؤيده جميعاً في كل ما قال .

لوكيوس : وأنا بكل تواضع أشكره ، وأشكرهم جميعاً .

ولكن من القادم علينا يقوده قوطي شديد ؟

٢٠ القوطي الثاني : لوكيوس الممجد ، لقد تخلفت عن عساكرنا ،

لأمعن النظر في دير^(١) خرب .

وبينما كنت أطيل النظر باهتمام ،

في البناء الدارس ، سمعت فجأة

صرخة طفل تحت الحدار ،

فتوجهت ناحية الصوت وسرعان ما سمعت ،

صوتاً يناغي الطفل الباكي بهذا الكلام :

« اهدأ ، أيها الأسمر الصغير ، فلي فيك النصف ،

(١) دير : الخطأ التاريخي واضح في استعمال كلمة « الدير » .

١٦١

١٢

ولأملك النصف ،

ولو أن لونك لم يفضح حقيقة من تنتسب إليه :
أى لو أن الطبيعة اقتصرت على أن أورثتك ملامح
أملك ،

لأمكنك يا لعين أن تصبح إمبراطوراً .

٣٠

فإذا كان الثور والبقرة كلاهما فى بياض اللبن ،
فمن المستحيل أن يلدأ عجلا فى سواد الفحم .
اسكت يا لعين . . اسكت . . هكذا كان يسخط
على الطفل .

ويقول « سأحملك إلى قوطى أثق به ،

ومتى عرف أنك ابن الإمبراطورة

٣٥

أعزك وأحسن ، من أجل أملك ، رعايتك » .

عندئذ سللت سلاحى وهجمت عليه .

فأخذته على حين غرة وأحضرتة إلى هنا .

لترى فى الرجل رأيك .

٤٠ : لوكيوس : أيها القوطى المخيد ، هذا هو الشيطان المفسد ،

إنه هو الذى سلب أندرونيكوس يده الطاهرة ،

إنه هو قرة عيني إمبراطورتك ،

وهذا الطفل هو ثمرة شهوتها المتأججة .

ف ٤

١٦٢

قل لى ، أيها العبد الزائع العين (١) ، أين كنت
تريد أن تحمل

هذه الصورة المصغرة من وجهك الشيطان ؟

٤٥

لم لا تتكلم ؟ ماذا ؟ هل أصابك صمم ؟ ألا تتكلم ؟
أيها الجند ، على بحبل ، وعلقوه على هذه الشجرة ،
وإلى جانبه ثمرة ما زنى .

: إنه ليشبه أباه شبحاً لا يمكن أن ينبت بخير .

اشنقوا الطفل أولاً ، حتى يراه وهو يعانى سكرات
الموت ،

٥٠

فهذا منظر يصيب قلب الأب فى الصميم .

على بسلم !

(يحضرون السلم ويجهزون هارون على صعوده)

: أنقذ الطفل ، يا لوكيوس ،

هارون

واحمله عني إلى الإمبراطورة ،

إنك إن فعلت ، أطلعتك على أمور غريبة ،
تنفعلك أخبارها نفعا عظيماً .

٥٥

فإذا لم تفعل ، فليكن ما يكون !

(١) Walleyed : زيادة فى بياض العين تصيب الخيل من مرض .

١٦٣

إني لن أقول شيئاً إلا قولتي « ألا فلينزل الانتقام بكم جميعاً » .

- لوكيوس : تكلم ، فإن سرتني ما تقول
عاش ابنك ، وأخذت على عاتقي أن أرحاه . ٦٠
- هارون : إذا سرّك؟ إني أؤكد لك يا لوكيوس ،
أن ما سأقوله سيؤلم قلبك .
- ٦٥ ذلك أني سأتكلم عن القتل والاغتصاب والمجازر ،
فعال سود في سواد الليل وآثام شنيعة ،
ومؤامرات للشر وللخيانة وللمنكر ،
أخبارها تفجع السمع ، وارتكابها يثير الشفقة على
ضحاياها ،
غير أن هذا كله سينطوي خبره بموتى ،
إلا إذا تعهدت لي بأن طفلي سيعيش .
- لوكيوس : هات ما عندك ، لقد قلتُ ، إن طفلك سيعيش
هارون ٧٠ : فلتقسم على هذا ، فإذا أقسمت بدأت .
- لوكيوس : وبمن تريدني أن أقسم وأنت لا تؤمن بإله ؟
فإذا سلمت بأنك لا تؤمن بإله فكيف تؤمن بقداصة
قسم .
- هارون : وماذا لو أنني لاؤمن بشيء ! إني حقاً لاؤمن ،

١٢

ولكننى أعلم أنك ديتن
وأن فى قلبك شيئاً اسمه الضمير
وغير ذلك من عشرات الخرافات والعبادات .
التي رأيتك تقوم بفروضها فى دقة ،
ولهذا ألح عليك فى أن تقسم ، (منفرداً) ذلك أنى
واثق

من أن الأحق قد يتخذ من عصاه التى يلهو بها رباً
ثم يرعى عيناً يقسم فيها بره هذا ،
لذلك سأرغمه على أن يقسم ، (بصوت عال)
لا بد من أن تقسم

٨٠

بالهك ، أياً كان هذا الإله
الذى تعبده وتقدسده ،

على أنك ستحمى طفلى وترعاه وتنشئه
ولأ ما أطلعتك على شىء .

٨٥

لوكيوس : أقسم بالإله الذى أعبد ، أن سأفعل .
هارون : إذن ، أعلم أولاً ، أننى قد أولدت الإمبراطورة إياه .
لوكيوس : يا للمرأة التى لا تشبع لها شهوة .
هارون : صه ، إن هذا عمل من أعمال البر يا لوكيوس
إذا قورن بما ستسمعه الآن منى .

٩٠

- إن ولديها هما اللذان قتلًا باسيانوس
وهما اللذان قطعاً لسان أختك، وهما اللذان اعتديا عليها،
ثم بترتا يديها وشذباها^(١) كما رأيت .
- لوكيوس : أيها الشرير البغيض . أو تسمى هذا تشديداً ؟
٩٥ هارون : لم لا ، لقد غسلت وقطعت ثم شذبت ،
وكان هذا هو ممتمعاً لمن قاما به .
- لوكيوس : لإنهما وغدان ، همجيان ، بل وحشان ضاريان مثلك .
هارون : هذا صحيح ، فلقد كنت مرشدهما الذي علمهما هذا ،
غير أن ما في نفوسهما من الفجور هو ما ورثاه عن
أمهما ،
- ١٠٠ تلك الأم التي تريح دائماً كما تريح الورقة المعروفة
في لعبة الورق ؛
أما الأفكار الدامية الوحشية ، فلقد تعلموها عنى
أنا فيما أظن ،
فأنا كلب شجاع ثابت مقدام كالكلب الذي ينازل الثور .
وهاكم أعمالي فلتشهد هى على علو كعبى .
إنى أنا الذى استدرج أخويك حتى الحفرة الخادعة
حيث كانت جثة باسيانوس الميت راقدة .
- ١٠٥

(١) يشير بيلدون إلى الكلمة « شذباها » معنى خفياً قبيحاً .

١٦٦-

ف هـ

وأنا الذى كتبت الرسالة التى وجدها أبوك ،
وأنا الذى أخفى الذهب الذى جاء ذكره فى الرسالة ،
متآمراً فى هذا كله مع الملكة وولديها .

نعم ؛ فهل حدث شئ " يفجر حسراتك
إلا وفيه من شرى أثر ؟ !

١١٠

غررت بأبيك حتى سلبته يده ،
فلما أخذتها منه انتحيت جانبا
وكاد قلبي يتصدع من فرط الضحك على غفلته .
ثم تلصصت عليه من فتحة فى الحائط ،

لأراه حين تسلم رأسى ولديه فى مقابل يده ،
ولما شاهدت دموعه ، ضحككت من كل قلبي
حتى جرى الدمع من عيني كليهما ، كما جرى
من عينه .

١١٥

ولما قصصت على الإمبراطورة خبر ما لهُوت به ،
كاد يفشى عليها من الضحك على قصتي ،
ومنحتنى على هذه الأخبار عشرين من القبل

١٢٠

القوطى الأول : ما هذا ، أتقول هذا كله دون أن تخجل ؟ !
هارون : بلى لى لأخجل ، ولكن كما يخجل الشيطان

- أو الكلب الأسود (١) فيما يقولون .
- لوكيوس : أولا تندم على هذه الآثام الشنيعة ؟
- ١٢٥ هارون : نعم أندم ، لأننى لم آت ألفاً غيرها من الآثام (٢) .
- بل إني لألعن الأيام ، وإن تكن قليلة تلك التى تحل بها لعننى ،
- والتي مرت دون أن أرتكب فيها شراً منكراً .
- كأن أقتل رجلاً ، أو أدبر له مقتله ،
- أو أغتصب فتاة أو أرسم الخطة لاغتصابها ،
- ١٣٠ أو أن أتهم بريئاً أو أقسم زوراً على براءتى ،
- أو أن أثير عداوة مميتة بين صديقين ،
- أو أجعل أغنام الفقراء تلقى بنفسها إلى التهلكة
- أو أشعل النار بالليل فى الأجران وأعواد الحطب
- ثم أدعو أصحابها ليطفئوها بدموعهم .
- ١٣٥
- كم نبشت القبور على الموتى ،
- ونصبت أجسادهم على أبواب الأعراف من أصدقائهم ؛

(١) يقول المثل : to blush like a black dog والكلب الأسود صورة يتقصبها الشيطان .

(٢) فى هذا الجزء ينزل هارون إلى مرتبة الشرير المسرحى العادى كما نجده عند «مارلو» وخاصة فى « يهودى مالطة » (بيلدون)

ف ه

١٦٨

بعد أن كادوا ينسون أحزانهم ،
وقد جثت إلى جلودهم الناشفة وكأنها لحاء الشعر ،
فحفرت عليها بسكينى حروفاً كبيرة تقول :
« إن كنت مت ، فلا تركوا حزنكم على يموت » .
أف ا كم ارتكبت آلاف الفظائع والكبائر ،
وأنا مطمئن راض هادئ وكأنما أقتل ذبابة .

١٤٠

وكل ما يحزنى حزناً حقيقياً الآن
أننى لم أعد أستطيع ارتكاب عشرات الآلاف غيرها .

١٤٥

لوكيوس : أنزلوا هذا الشيطان إنه يجب ألا يموت ،
هذه المينة العذبة ، التى يشق فيها لموت مرة واحدة .
هارون : يا ليتنى كنت شيطانا ، إذا كان حقاً هناك شياطين ،
لأعيش وأحترق خالداً فى النار ،

١٥٠

حتى ألقاك يوماً فى الجحيم ،
لا لشيء ، إلا لأعذبك بلسانى المر .

لوكيوس : أيها السادة ، أخرسوه لا تدعوه يتكلم بعد هذا .

(يدخل قوطى)

القوطى : مولاي ، رسول من روما ،

يطلب الإذن بالمثل فى حضرتك

١٥٥ لوكيوس : دعه يدنُ منا . (يدخل إيميليوس)

١٢

إيميلْيوس ! مرحباً ! ما أخبار روما .

إيميلْيوس : مولاي لوكيوس ، ويا أمراء القوط ،

إن الإمبراطور الروماني يحييكم جميعاً بلساني ،
ولما فهم أنكم تتهيأون للحرب .

١٦٠

طلب الاجتماع بكم في بيت أبيك
وهو مستعد لأن تطالبوه بأية ضمانات .
ليقدمها لكم مباشرة .

القوطى الأول : ماذا يرى قائدنا

لوكيوس : فليقدم الإمبراطور يا إيميلْيوس ما تعهد به

لأبي وعمي ماركوس .

فلسوف نأثي إليكم . إلى الأمام .

١٦٥

(يخرجون)

١٦٩

الفصل الخامس

المنظر الثاني

أمام منزل تيتوس - تدخل تامورا وشيرون متنكرين

تامورا : هكذا إذن ، وفي ثياب كثيبة غربية (١) ،

ألقى أندرونيكوس ،

لأفهمه أننى إلهة الانتقام ، قد جثته من العالم السفلى

لأتحالف معه ونثأر معاً لمصائبه الفظيعة .

فلاأقرعن عليه باب مكتبه ، حيث يقولون إنه اعتكف ،

يقلب الفكر بين خطط غربية لانتقام رهيب .

سأقول له ، إن آلهة الانتقام جاءت للتحالف معه .

ولتنزل الحراب بأعدائه .

(يطرق الباب)

(يظهر تيتوس مطلاً من أعلى)

تيتوس : منذاً الذى يعكر على صفو تأملاتى ؟

(١) يعلق بيلدون على هذا الجزء قائلاً إن الحيلة التى لجأت إليها تامورا لا تتفق وذكاءها

الراجح فن غير المتوقع أن نتوهم أن تخدع تيتوس بمثل هذه الحيلة .

١٧.١

٢٢

أهذه حيلتكم لأفتح لكم الباب ؟

١٠

فتطير من رأسى كل قرارأتى الخطيرة

ويصبح جهدى كله بلا جدوى ؟

إنكم مخدوعون ، مما انتويت فعله ،

قد كتبته هنا ، انظروا إليه فى أسطره الدامية ،

ولا بد أن أنفذ كل ما كتبت .

١٥

: تيتوس إنى جئت لأتحدث إليك .

تامورا

: لا ، ولا كلمة . فأنى لى أن أزين كلامى وأقويه

تيتوس

وليست لى يد أشير بها فأقنع أو آمر بالتنفيذ .

إنك فى هذا تفوقينى . فأليك عنى .

: لو عرفتنى لرغبت فى التحدث إلى .

٢٠ تامورا

: إئننى أعرفك كل المعرفة ، فلست مجنوناً ،

تيتوس

ألا فلتشهد الذراع البتراء البائسة وهذه الخطوة

الدامية .

وهذه التجاعيد التى خطها الحزن والهلم ،

بل فليشهد النهار الشاق والليل الثقيل ،

وليشهد كل ما أنا فيه من حزن ، على أنى أعرفك

٢٥

كل المعرفة .

فأنت إمبراطورتنا المتغترسة ، تامورا العاتية ،

أو لم تأت في طلب يدي الأخرى ؟

تامورا

: اعلم أيها البائس الحزين أني لست تامورا ،
لأنها هي عدوتك أما أنا فصديقتك ،
لأنني إلهة الانتقام أرسلت إليك من ملكوت الحليم ،
لتهدئ النسرين الضاري الذي ينهش فؤادك (١) ،
بأن تنزل الانتقام الشديد بأعدائك .

٣٠

انزل ورحب بنور هذه الدنيا ،

وشاورني في القتل والموت ،

فما من كهف سمحيق . أو مكان خفي ،

٣٥

وما من مهمه واسع أو واد بهيم ،

يستطيع القاتل السفاك أو المغتصب البغيض ،

أن يأوي إليه من الخوف ، إلا استطعت أن اكتشف

مكانه

ثم ألقى في أذنه باسمي الرهيب :

« الانتقام » فيرتجف كل مجرم زئيم .

٤٠

: أنت إلهة الانتقام . أرسلت إلى

تيتوس

لتكوني عذاباً مسلطاً على أعدائي ؟

(١) يبدو أن الصورة مستعارة من قصة هروبيثيوس .

- تامورا : نعم ، أنا هي ، فأُنزل إلىّ ورحب بي .
- تيتوس : أو تسدين إلى معروفاً قبل أن أنزل إليك ؟
- ٤٥ هنا على جانبك يقف القاتل والغاصب ،
فأنتى لى أنك إلهة الانتقام حقاً ،
بأن تطعنيهما أو تقطعى جسدتهما بعجلات عربتك .
وسأهبط بعد ذاك إليك فأقود لك العربى ،
وأنتلق معك بها ، ندور حول العالم ،
٥٠ مُدينا بجوادين كريمين فى سواد الفحم ،
لينطلقا خفيفين بعربتك المنتقمة ،
ليلحقا بالقتلة فى كهوفهم المريبة الأئيمة ،
حتى إذا ما أثقلت عربتك برءوسهم
هبطت منها ، وتقدمت عجلاتها ،
٥٥ أجرى طوال النهار بين يديك وكأنى^(١) السائس
الخاضع .
وأصاحبك من مطلع إله الشمس^(٢) فى المشرق ،
حتى مهبطه فى البحر ،

(١) كان للأثرياء فى أيام شكسبير سواى يعدون أمام عرباتهم ويفسحون لها الطريق .

(٢) هيريون هو إله الشمس ، وهو أقدم من أبولو . استمال هذا الاسم للشمس

يدل كما يرى « بيلدون » على معرفة بالأساطير الإغريقية إلى جانب الأساطير الرومانية .

ف هـ

١٧٤

وسأظل أقوم بهذا العمل الشاق يوماً بعد يوم ،
على شرط أن تقتلى في الحال ، هذين : القاتل
والغاصب

٦٠ تامورا : لهنما رسولاي جاءا معي ،

تيتوس : أحق أنهما رسولاك ؟ وما اسماهما ؟

تامورا : القاتل ، والغاصب ، سميا كذلك

لأنهما يوقعان الانتقام بهذا الصنف من الآثمين .

تيتوس : يا إلهي ، لكم يشبهان ولدى الإمبراطورة

ولكم تشبهين أنت الإمبراطورة نفسها ، لكننا نحن

أهل هذه الأرض

عيوننا بائسة ، مجنونة ، تضللنا

يا إلهة الانتقام العذب ، سأهبط إليك حالا ،

فلماذا أرضباك أن تحتضنك ذراع واحدة ،

فسأضملك بها سريعاً .

(يختفي من أعلى)

٧٠ تامورا : لقد وصلنا معه إلى اتفاق يلائم جنونه .

وكل ما سأخترق لأغدى به هوى عقله المريض

فعليكم — مهما يكن ما أختلق — أن تؤمنوا عليه

وتؤيدوه بأقوالكم .

١٧٥

٢٢

لانه يؤمن الآن إيماناً جازماً أننى إلهة الانتقام .

ولما كان من السهل إقناعه فى خبيله

فسأقنعه بأن يرسل فى طلب ابنه لوكيوس .

٧٥

وبينما أكون قد ملكت قياده أثناء المأدبة ،

فسأهتدى بداهة إلى حيلة مأكرة ،

تفرق القوط الحق وتشتت شملهم ،

أو تقلبهم — على الأقل — إلى أعداء له .

انظروا ، ها هو ذا قادم . وسأواصل دورى

٨٠

(يدخل تيتوس)

: لكم شقيت فى انتظارك ،

تيتوس

فرحياً بك فى بيتى الكتيب أيتها الإلهة المنتقمة المهيبة ،

ومرحباً بكما أيضاً ، أيها القاتل والغاصب .

لكم تشبهون الإمبراطورة وولديها ،

وكم يكتمل عقدكم لو كان معكم عبد أسود .

٨٥

ألم يستطع الجحيم كله أن يمدكم بشيطان مثله ،

فلأنى لأعرف جيداً ، أن الإمبراطورة لا تكاد تخطو

خطوة (١)

(١) Wags : تخطو خطوة من معانيها تلعب بليلها . والمقصود التلميح إلى سيرة

تامورا الآمة .

ف ه

١٧٦

إلا وفي صحبتها عبد أسود ،
لكان الأجلدركم أن تصحبوا معكم شيطاناً كهذا .
ولكن ما لنا ولهذا ، مرحباً بكم على أية حال ؟ والآن

٩٠

ماذا نفعل ؟

تامورا : وماذا تريدنا أنت أن نفعل يا أندرونيكوس ؟

ديمتريوس : أرني قاتلاً فأتكفل لك به .

شرون : ودلني على وغد مغتصب ،

فأنا مرسل للانتقام لك منه

٩٥ تامورا : أرشدني إلى من أساءوا إليك ، فلو كانوا ألفاً ،

لانتقم لك منهم جميعاً .

تيتوس : هيا ، فلتبحثوا في شوارع روما المملوءة بالإثم .

فإذا وجدت أيها القاتل الكريم رجلاً يشبهك كل

الشبه

فاطعنه لأنه قاتل .

ولتذهب أنت معه أيها الغاصب الكريم ،

١٠٠

فإذا حدث أنك وجدت آخر يشبهك أنت

فاطعنه لأنه مغتصب

وأنت ، اذهبي معهما ، إلى بلاط الإمبراطور ،

فهناك ملكة يقوم على خدمتها عبد أسود .

١٧٧

٢٢

لأنه لمن السهل عليك أن تعرفها لأن صفاتها هي صفاتك ،

١٠٥

فهى تشبهك كل الشبه من قمة الرأس إلى أخمص القدم .

وإني لأضرع إليكم ، أن تذيبوهم جميعاً الموت القاسى ،
فلقد كانوا قساةً علىّ وعلى أهلى

تامورا : لقد أحسنت فيما بينت لنا من أوامرك وسنفعل كما قلت

١١٠

ولكن يا أندرونيكوس الطيب ، أسمح
بأن ترسل فى طلب لوكيوس ، ابنك الممام الشجاع
الذى يقود صوب روما جيشاً من القوط المحاربين ،
وتسأله أن يحضر وليمة فى منزلك .

فإذا ما جاء ، وفى إبان احتفالك الوقور ،
فسأتى بالإمبراطورة وبابنيها .

١١٥

بل بالإمبراطور نفسه ، وبجميع أعدائك ،
ليضرعوا إليك ، ويركعوا طالبين رحمتك ،
فتشقى صدرك الموغور منهم .

ما رأيك فى هذه الحيلة يا أندرونيكوس ؟

١٢٠ تيتوس : ماركوس ، أخى إنه تيتوس الخزين يناديك
(يدخل ماركوس)

ف هـ

١٧٨

ماركوس أيها العزيز ، اذهب إلى ابن أخيك لوكيوس ،
فسأل عنه بين القوط ،
واطلب إليه أن يرجع إلى وأن يصحب معه
نفرًا من كبار أمراء القوط .

وسله أن يدع جنوده معسكرة حيث هي الآن ،
قل له إن الإمبراطور ، والإمبراطورة
سيحضران إلى حفل في بيتي ، وعليه أن يحضر
معهما الحفل .

افعل ذلك إن كنت تحبني ، ودعه هو الآخر
يفعل ،

إن كان يرعى حياة أبيه الشيخ .

١٣٠ ماركوس : سأفعل وأعود سريعاً (يخرج)

تامورا : أما أنا فسأتوجه لتدبير أمرك

وسأخذ رسولي معي

تيتوس : لا ، لا ، دعي الغاصب والقاتل معي ،

وإلا دعوت أخى ليرجع

واعتمدت على لوكيوس وحده في الانتقام . ١٣٥

تامورا (لوليها على انفراد) : ما رأيكما يا بنى ، أظلان معه ،

حتى أذهب فأقص على الإمبراطور

كيف أحكمت تنفيذ ما دبرنا من حيلة ؟
سأبراه على جنونه و لا يناه ، وتحدثا بلطف إليه ،
وامكثا معه حتى أعود .

١٤٠

تيتوس (على انفراد) : إني أعرفهم جميعاً ، وإن حسبوني مجنوناً ،
وسأغلبهم على أمرهم بنفس حيلهم .
لأنهم لزوج لعين من كلاب الجحيم ومعهم أمهم !!
ديمتر يوس : انصرفي ، إن شئت يا سيدتي واتركينا .
١٤٥ تامورا : إذن وداعاً يا أندرونيكوس ، فستمضي إلهة الانتقام
الآن ،

لتضع الخطة التي تفصح بها أعداءك .
إني على يقين أنك ستفعلين . فوداعاً يا « انتقامي »
(تخرج تامورا)
الحبيب .

تيتوس

شيرون : قل لنا أيها السيد الشيخ ، ماذا تريدنا أن نفعل .
١٥٠ تيتوس : هيه . عندي من العمل ما يكفيكما !
ببليوس ، تعال هنا . كايوس ، وأنت يا فالنتين
(يدخل ببليوس وآخرون)

ببليوس

ببليوس : أمرك ؟ !
تيتوس : أتعرفون من هذان ؟
ببليوس : ولدا الإمبراطورة

ف ه

١٨٠

فما أعتقد ، شيرون وديمتر يوس .
 ١٥٥ تيتوس : ويحك يا بيليوس ويحك ، إنك تخدوع إلى أبعد حد :
 إن أحدهما هو « القاتل » واسم الآخر « الغاصب » .
 قيدهما إذن يا بيليوس الطيب ،
 وأنت يا كايوس ويا فالنتين ، ألقيا القبض عليهما .
 أو لم تسمعاني كثيراً أنمى حىء مثل هذه الساعة ،
 وها هى ذى تسنح لى ، قيدهما إذن قيدياً وثيقاً ،
 ١٦٠ واكتما أنفاسهما إذا حاولا الصراخ .

(يخرج - ويلق بيليوس منه القبض على شيرون وديمتر يوس)
 شيرون : كفوا أيها الأوغاد ، إننا ولدا الإمبراطورة
 بيليوس : نحن لهذا ننفد ما أمرنا به .
 أحكموا كتم أنفاسهما ولا تدعوها ينطقان حرفاً ؛
 أو أحكمتم وثاقهما ؟ أسرعوا بتقييدهما .
 ١٦٥

(يدخل تيتوس ومنه لافينيا وقد حملت طستاً صغيراً في حين حمل هو سكيناً)
 تيتوس : تعالى يا لافينيا ، تعالى ، انظري عدويك مقيدتين
 اكنموا أيها السادة أنفاسهما ولا تدعوها يكلماني ،
 ولكن أتيحا لهما أن يسمعا ما سأقول من قول مروع .
 أيها الوجدان ، شيرون وديمتر يوس ،
 هنا ، أمامكما النبع الذى لوئتهما بالوجل ،
 ١٧٠

٢٢

١٨١

والصيف الجميل الذى أزلتما به قرّ شتائكما البائس .
لقد قتلتما زوجها ، وكانت هذه الجريمة البشعة
سبباً فى أن يحكم على اثنين من إخوتها بالموت .
ويدى هذه بترت ، وجعلتما من بترها هذا ملحة
فكهة ،

١٧٥

ويداها الجميلتان ، ولسانها ، وما هو أعز
وأغلى من الأيدى ومن اللسان ، عفاها الطاهر ،
انتهكتماه واغتصبتماه ، أيها الخائنان المتوحشان .
ماذا عسى أن تقولاً لو سمحت لكما بالكلام ؟ !
لن تستطيعا من فرط عاركما ، أيها الشريران أن تطلا
الرحمة

أنصتا يا أيها اللعينان ! لو تعلمان كيف سأمثل
بكما

١٨٠

إن يدى هذه الواحدة قد بقيت لى لتقطع رقابكما ،
وستمسك لافينيا بذرعاها المبتورتين
طستاً تجمع فيه دمكما الأثيم .
إنكما تعلمان أن أمكما ستحضر وليمة فى بيتى ،
وأنها تدعو نفسها إلهة الانتقام ، وأنها تحسبني
مجنوناً ؛

١٨٥

اسمعا اذن ايها الشريران! سادق عظامكما دقاً حتى

تصبح دقيقاً ،

ومن الدقيق ومن دمكما سأعجن عجينةً ،

وأخذ من العجين غطاءً للكعك ؛

ليزين الكعكتين اللتين سأصنعهما من رأسكما

الدينشين .

عندئذ سأدعو تلكما الفاجرة ، أمكما النجسة ،

١٩٠

للتهم في جوفها ، كالأرض ، ما أخرجته .

فهذا هو الحفل الذي دعوتها إليه ؛

وتلكما هي المأدبة التي ستأكل منها حتى تعثرها

التخمة .

لقد أسأتما إلى ابنتي بشر مما أسى به إلى « فيلوميل » (١)

وسأنتقم لها انتقاماً شراً من انتقام « بروجنى » .

١٩٥

هلم الآن هات رقبتيهما ووعالى يا لافينيا

(يقطع رقبتهما)

لتلقى الدم ، وعندما يموتان

دعيني أدق عظامهما حتى تصبح دقيقاً ناعماً ،

(١) فيلوميل وبروجنى . انظر الهامش على البيت ٤٦ من المنظر الثالث في الفصل

ثم أخلطه بهذا الشراب الكريه ،
 وأنضح رأسيهما الشقيين وأغطيتهما بهذا العجين .
 هيا ، هيا ، وليجتهد كل منكم
 في أن يجعل هذه الوليمة كما أريدها أن تكون ،
 في الصرامة والدماء ، أوفر نصيباً من وليمة السنطور^(١)
 والآن ، أدخلوهما ، فسأقوم بدور الطباخ
 وأعدهما حتى تأتني أمهما .

(يخرجون وهم يحملون الجثث)

(١) وليمة السنطور - كانت عقب حرب أهل السنطور ولا يبنى لزواج
 « بيروثوس » من « هيبوداميه » . انظر شعر أوفيد Ovid في قصيدته Metamorphoses وهي
 خمسة عشر كتاباً . الكتاب الثاني عشر ، البيت ٢١٠ وما بعده .

الفصل الخامس

المنظر الثالث

فناء منزل تيتوس ، وقد مدت فيه المائدة - يدخل لوكيوس وماركوس وجماعة من القوط
ومعهم هارون أسيراً .

لوكيوس : عمى العزيز ، ما دام أبى يرى

أن أعود إلى روما فأنا أقبل العودة .

القوطى الأول : وليست إرادتنا إلا ما أردتم ، ولتجر المقادير بما تشاء .

لوكيوس : عمى العزيز ، خذ معك هذا العبد الأسود المتوحش ،

هذا النمر المفترس والشیطان اللعين ،

ولا تدعه يذوق طعاماً ، بل قيده

حتى نواجه به الإمبراطورة ؛

ليشهد على فعالها الدنيئة .

واحرص على أن يكون كمين جيشنا الصديق حصيناً .

فأنا أخشى ألا يضمّر لنا الإمبراطور خيراً .

هارون : هناك شيطان يهمس باللعنات فى أذنى ،

ويستحفى على أن أجرى على لسانى

السم الزعاف ، الذى يفيض به قلبى الثائر .

لوكيوس : اغرب عن وجهى أيها الكلب المتوحش ، أيها العبد

١٨٥

٣ م

النجس ،

١٥

ساعدوا عمى ، أيها السادة ، على أن يجره إلى سجنه .
(يخرج القوط ومهم هارون - ثم تدق طبول)

وهذه طبول تدل على أن الإمبراطور قريب .

(يدخل ساترنيوس وتامورا ومهما أيميليس وجماعة من الشيوخ والزعماء وغيرهم)

ساترنيوس : هناك في الفلك إذن أكثر من شمس واحدة .

لوكيوس : وماذا يفيدك أن تسمى نفسك شمساً ؟

ماركوس : يا إمبراطور روما ، وأنت يا بن أخى ، فضوا هذا

الجدل .

فلا بد من أن تناقش مثل هذه الخلافات فى هدوء .

٢٠

وهاكم تيتوس اللبق قد أعدّ لكما حفلاً ،

أقامه تحقيقاً لغاية نبيلة ،

وحرصاً على السلام والمحبة والوثام ؛ وعلى صالح روما

هلم إذن لو سمحتم ، تقدموا وخذوا أما كنكم .

٢٥ ساترنيوس : سنفعل يا ماركوس

(صوت أبواق - يدخل تيتوس وقد ارتدى ملابس طباطخ ، وفى صحبته لافينيا وعلى

وجهها قناع ومعهما لوكيوس الصنير وآخرون ، يضع تيتوس الصحن على المائدة)

تيتوس : مرحباً مولاي العظيم ، ومولاي المهيب ،

مرحباً بالقوط المغاوير ، مرحباً يا لوكيوس ،

مرحبًا بكم جميعًا . أن يكون الزاد قليلا
فإنه سيكون بطونكم ؛ تفضلوا فكلوا منه .

٣٠ ساترنيوس : لم ترتدى هذه الملابس يا أندرونيكوس ؟
تيتوس : حرصًا مني على أن يكون كل شيء معدًا كما يجب ؛
ليليق بالاحتفال بجلالتكم وبجلالته .

تامورا : إننا نقدر لك هذا يا أندرونيكوس الطيب ،
تيتوس : وسيزيد تقديرك يا مولاتي ، إذا عرفت ما في نفسي .
٣٥ أفنتي في هذا الأمر يا مولاي الإمبراطور ؟

هل أحسن فرجينوس^(١) المتهور صنعًا
عندما ذبح ابنته يمينه ،
لأنها اغتصبت ودنست وانتك عرضها .

ساترنيوس : نعم لقد أحسن يا أندرونيكوس !
٤٠ تيتوس : وما سبب حكمك هذا يا مولاي العظيم ؟
ساترنيوس : السبب أنه يجب ألا تعيش الفتاة بعد فضيحتها ،
فسيظل مرآها يجدد الأحزان في نفس أبيها .

تيتوس : إنه لسبب وجيه ، قوى ، مقنع !

(١) يروى أن فرجينوس قتل ابنته مخافة أن ينتك عرضها . أما تيتوس فقد انتك
عرض ابنته لافينيا فعلا . واختلاف الحالين يجعل المقارنة صعبة ، مما دعا إلى كثير من الجدل
بين الشراح .

إنه لقياس يقاس عليه ؛ وسابقة تحتذى ؛ ومثال

يجب أن يتبع .

وعلىّ أنا ، أنا الشقى ، أن أحتذى المثل وأنفذه .

٤٥

لافينيا ، موقى ، موقى ، لموت عارك معك ،

ومع عارك فليمت حزن أبيك .

(يقتل لافينيا)

ساترينيوس : أيها المتوحش الشاذ ، ماذا أتيت ؟ !

تيتوس : قتلها ، قتل من أعمانى الدمع الذى ذرفته بسببها ،

إننى شقى ، أشقى من فرجينوس^(١) ؛

٥٠

ولدى من المبررات أكثر مما له ألف مرة ،

وكلها تدفعنى لارتكاب هذا الشر الفظيع ، وقد تم

الآن ونفذ .

ساترينيوس : ماذا ؟ أو قد اغتصبت ؟ نبشنا من فعل هذا ؟

تيتوس : تكرم بالأكل ! ثم فلتتكرم جلالها بتناول الطعام .

٥٥ : لم قتل ابنتك ؟

تامورا

تيتوس : أنا ؟ لى لم أقتلها بل قتلها شيرون وديميريوس .

إنهما هما اللذان اغتصباها وقطعا لسانها ،

وهما اللذان فعلا بها كل هذا الشر .

(١) راجع الهامش السابق .

ف ه

ساترنيوس : اذهب فأحضرهما إلينا حالا .
 ٦٠ تيتوس : ولم ، إنهما هنا ، عجيباً في هذه الفطيرة ،
 وقد أكلت أمهما منهما في رشاقة ؛
 لقد أكلت من اللحم الذي عُنيبت بتربيته .
 هذه حقيقة ، حقيقة ، ولتشهد حدة سكينى على
 هذا .

(يقتل تامورا)

ساترنيوس : أيها الشقي المحنون ، مُتَ جَزَاء هذه الفعلة الشنعاء
 (يقتل تيتوس)

٦٥ لوكيوس : أو تطيق عينا الابن أن تريا دم أبيه يراق ؟
 كيل ، بكيل ، والقتل للقاتل .

(يقتل ساترنيوس ، ضجة كبيرة . يتفرق القوم من اضطرابهم
 ثم يصعد ماركوس ولوكيوس وأشياعهم إلى الشرفة)

ماركوس : أيها القوم ذوو الوجوه الجادة العابسة ، يا أهل روما
 وأبناءها ،

إن هذه الضجة قد فرقتمكم ، وكأنكم سرب من القطا
 شتته الرياح والأعاصير الهوج العاتية .

اسمحوالى ، أن أعلمكم كيف تجمعون من جديد ،
 هذه الحبات المتناثرة في سنبلة واحدة جامعة ؛
 وهذه الأطراف المبتورة في جسد واحد من جديد ؛

ولإلا كانت روما وبالاً على نفسها .
فبعد أن كانت تدين لها الممالك القوية ،

ستصبح كالمنبوذ الشقي البائس ،
وتقضى على نفسها قضاءً مبرماً شائناً .

٧٥

وإذا كانت طلائع شببي ، والعضون التي في وجهي ،
وهي الدليل الحاد على التجربة والحكمة ،
لا تحملك على أن تصغوا إلى :

٨٠ (إل لوكيوس) فتكلم أنت يا صديق روما العزيز ، كما تكلم جدنا
من قبل ،

عندما ألقى بلهجته الوقور ،

في سمع « ديدو » المنصتة ، المريضة بالحب ،
قصة الليلة المشتومة الملتبة ،

التي فاجأ فيها الإغريق الماكرون ، مدينة الملك
بريام .

قل لنا من ذا الذي غرر بنا وبأسماعنا وكأنه « سينون »^(١)

٨٥

(١) سينون : من محاربي الإغريق . عرف بقدرته على الكذب والخداع لأنه استطاع
أن يدخل على أهل طروادة حصاناً خشبياً كبيراً اختفى فيه جنود من الإغريق ليدخل بهذه
الحيلة جنته داخل المدينة .

ف هـ

١٩٠

ومن ذا الذى أدخل علينا الآلة الجهنمية كما أدخل
حصان طروادة

فأصاب طروادتنا - روما - بجرح الشقاق الداخلى.
لا تحسبوا أن قلبى قد من صوان أو فولاذ .

فلست بقادر على أن أفصح عن حزننا المرير ،
دون أن تغرق كلماتى فى فيض من الدمع

٩٠

فيظل حديثى ؛ فى الوقت الذى
يجب فيه أن أحملكم على أن تنصتوا لى خير إنصات ،
وأن تعطفوا على وتواسونى .

إليك إذن ، قائد روما الشاب ، فليقص هو عليكم
القصة ؛

إن قلوبكم ستضطرب وستدرف عيونكم الدمع لسماع
كلماته .

٩٥

لوكيوس : أيها المستمعون الكرام ، ألا فلتعلموا

أن شيرون اللعين وديمتر يوس

هما اللذان قتلا أنا الإمبراطور ؛

وهما اللذان اغتصبا أختنا ،

وقد أعدم أخوئى لما ارتكبا هما من جرائم بشعة ؛

١٠٠

١٩١

٣٢

لقد استخفا بدموع أينا ، وسلبا في دناة خادعة
يده الأمانة ، يده التي أخرجت روما ظافرة في
معاركها ،

وألقت بأعدائها إلى القبور .
وأخيراً نُفيت أنا في قسوة ؛

وأوصدت الأبواب في وجهي ؛ وطردت من الوطن
آسياً

١١٥

لأستجدي النجدة من أعداء روما ؛
فأغرقوا عداواتهم في فيض دموعي الصادقة ؛
وفتحوا لي أذرعهم ليحتضنوني كصديق .
ألا فاعلموا أيضاً أنني أنا الذي نُفي ،

قد رعيت مصالح روما ودافعت عنها بدمي ،
وتلقيت أطراف سيوف العدو المسددة إلى صدرها ؛

١١٠

فجعلت من جسدي الباسل غمدًا لتصلهم ،
وأأسفاه ، إنكم لتعرفون فما أنا بمتبجح ولا مدع ،
إن ندوب جراحي ، وإن كانت صامتة خرساء ،
تشهد على أن ما أقرره هو الحق الصادق ، والحقيقة
كاملة .

١١٥

ولكن مهلاً إنه ليخيل إليّ أنني قد استطردت طويلاً ،

ف ه

١٩٢

معدداً مناقبي المتواضعة ؛ فاغفروا لي ؛
إن المرء إن عدم الصديق الذي يعترف بحقه امتدح
نفسه .

ماركوس : والآآن حان دورى لأن أنكلم ، انظروا إلى هذا
الطفل !

هذا هو الذى أنجبته تامورا !

١٢٠

من نسل عبد كافر ؛
كان هو المدبر الأكبر لهذه المصائب وواضع
خططها ؛

إن هذا الشرير ما زال حيّاً الآآن فى بيت تيتوس
يشهد ، لعنة الله ، على صدق ما نقول .

قدروا الظروف إذن التى دفعت بتيثوس إلى أن
ينتقم

١٢٥

لهذه الإساءات التى لا توصف ولا تحتمل ،

بل لا يمكن أن يطبقها بشر حى .

لقد علمتم الآآن الحقيقة ، أيها الرومان فما قولكم ؟
إن كنا قد أثينا أمراً لا ترونه حقاً فدلونا عليه ؛
إنكم إن فعلتم فسنلقى بأنفسنا ، نحن البقية الهزيلة
من أسرة أندرونيكوس ،

١٣٠

١٩٣٠

٣٢

من هذا المكان الذى تروننا فيه ،
لتهوى جميعاً وقد أمسك كل منا بيد صاحبه ،
حتى تتناثر رموسنا على الصخور الخشنة ،
ونقضى جميعاً على بيتنا قضاءً مبرماً .
تكلّموا أيها الرومان ، تكلّموا ، إنكم إن طلبتم منا
ذلك فعلناه .

١٣٥

انظروا ، سنلقى بأنفسنا ، أنا ولوكيوس ، يدًا في يد .

إيميلوس : كفى ، كفى ، يا رجل روما الوقور ،

بل اصحب إمبراطورنا في رفق معك

١٤٠

نعم ، لوكيوس إمبراطورنا ، فلنأى لأعلم جيداً

أن هذا هو ما يطلبه الشعب وينادى به .

ماركوس : لوكيوس ، تقبل تحيتنا ، يا إمبراطور روما الملوك

(الحاشية) هلم إلى بيت تيتوس الحزين ،

وجروا ذلك العبد الكافر إلى هنا ؛

حتى يُقضى عليه بأشنع ما يكون من الموت ،

عقاباً له على حياة مفعمة بالإثم .

١٤٥

(تخرج الحاشية) (ينزل لوكيوس وماركوس والآخرين)

الجميع : لوكيوس ، تحية منا إليك يا حاكم روما السمع

الكريم !

١٩٤

ف هـ

لوكيوس : شكراً، أيها الرومان الكرام ، وددت لو أن حكمتي
كان سمحاً كما تقولون

فأبرئ جراح روما وأمسح عنها حزنها .
ولكن ، أمهلوني قليلاً ، وساعدني ، أيها الشعب
الكريم .

١٥٠

فلقد حملتني الطبيعة أمانة ثقيلة .
قفوا بعيداً كلكم ، إلا أنت أيها العم فاقترب مني ،
لندرف الدمع الواجب علينا نحو هذا الجسد ،
إليك هذه القبلّة الدافئة على شفاهك الباردة الشاحبة
(يقبل تيموس)

وهذه القطرات الحزينة من الدمع على وجهك الملطخ
بالدم ،
فهي آخر ما يُقدم إليك ابنك الوفي من فروض
خالصة ،

١٥٥

ماركوس : وهذه دموع جزاء دموعك ، وقبلّة محبة وفاء لقبلاتك ،
يردها إلى شفّيتك أخوك ماركوس ،
فإن يكن ما على أن أردّه إليك منها
لا عدد له ولا نهاية فما زلت حريصاً على أن أردّه
كله .

١٩٥

٣٢

١٦٠ لوكيوس (لابته): تعال ، اقرب يا بني ، تعال ، تعال وتعلم منا

كيف تذوبُ نفسك حشرات في فيض من الدمع .

لقد كان جدك يحبك حباً جمّاً

ولكم أرقصك على ركبتيه ، وغنى لك لتنام وقد

وسدك صدره الحنون ،

ولكم قص عليك من قصص ،

تلائم طفولتك وتسعدها ،

١٦٥

فاذكر هذا يا بني ، وهلم تقدم كطفل حبيب

لتذرف من الدمع بضع قطرات من نبعك الغض ،

فإن الرحمة تقضى

بأن يشارك الصديق صديقه في الحزن والأسى

هلم ودّع جدك ، وأسلمه إلى القبر ؛

١٧٠

قدم له هذا الفرض واستأذنه في أن تنصرف .

لوكيوس الصغير : جدى يا جدى ، كم أتمنى من كل قلبي

أن أموت أنا وتحيا أنت من جديد .

مولاي إني لا أستطيع أن أكلمه من بكائي ،

إني لأغص بالدمع قبل أن أفتح فمي .

١٧٥

(تدخل الحاشية ومعها هارون)

الرومانى الأول : يا آل أندرونيكوس المحزونين ، دعوا الأحزان

واحكموا على هذا الشقي اللعين ،
الذى دبر كل هذه المآسى الفاجعة .

لوكيوس : ليدفن فى التراب حتى الصدر ثم لتميتوه جوعاً ،
ودعوه على هذه الحال مقيداً حتى يهدى صارخاً
فى طلب الطعام .

١٨٠

فلإذا أسعفه إنسان أو أشفق عليه
فليمت بجريمته تلك هذا قضاؤنا .
فليتحلف هنا بعضكم ليتأكد من قيده فى الأرض .

هارون : آه ، لم يخوس الحقد ، ويسكن الغضب ؟

لست طفلاً لأصلى صلوات دنيئة ،

١٨٥

أستغفر بها عما ارتكبت من شرور .

إننى لأتمنى أن أملك حريقى من جديد حتى أرتكب
ألفاً غيرها شراً مما ارتكبت منها جميعاً .

ولو أننى أثبت عملاً طيباً واحداً فى حياتى كلها ،
فهذا هو ما أندم عليه الآن من كل قلبى ،

١٩٠

لوكيوس : فليحمل الإمبراطور بعض أصدقائه المحبين ،

لكى يدفن فى قبر أبيه .

أما أبى ولافينيا فسيحملان

١٩٧

٣٢

لكي يدفنا في مقابر أسرتنا .

وأما تامورا ، هذه النمرة المفترسة ،

١٩٥

فلا جنازة لها ، ولا مشيع واحد في ثوب الحداد ،

ولا أجراس تعلن الصلاة على جثمانها^(١) .

دعوها للوحوش وجوارح الطير .

إن حياتها كانت كحياة الوحوش خالية من الرحمة ،

ولا بد أن يكون جزاؤها كذلك خلواً من الرحمة^(٢) .

٢٠٠

ثم تأكدوا من تنفيذ العقاب في هارون ، هذا العبد

اللعين ،

الذي بدأت به خطوبنا الجسيمة .

وبعد ذلك سنحكم سياسة الدولة إحكاماً

بحيث لا تُفسد أمورنا مثل هذه الأحداث به

اليوم .

(يخرجون)

(١) الخطأ التاريخي هنا واضح فهذه مراسيم مسيحية إلا أن يكون الأبطال مسيحيين

قد أزيح عصرهم إلى القدم .

(٢) بهذا البيت (مختلفاً) تنتهى طبعة آردن الحديثة سنة ١٩٥٧ تحقيق ماكسويل

وشرحه ، ولكن هذه الأبيات الأربعة موجودة في الطبعة التي اعتمدنا عليها طبعة آردن سنة ١٩٥٤

تحقيق بيلدون وشرحه .

١٩٩٣ / ٨٤٩٨	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4231-4	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤٢٥
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

